امال ورجـــــــــاء



ليلة من الليالي السود وقد تعالت فيها لعلعة المدافع وأزيز الرصاص وتساقط الصواريخ فتقتل الابرياء وتهدم الابنية ، والخوف الشديد يتمشى بالعظام فترتعد الفرائص وترتجف الركب فما تقوى على حمل الارجل ، وقد غص الملجأ بالخائفين فتعالت الاصوات تجأر بالدعاء الى الله سبحانه ليرفع هذا الغضب الذي اصاب لبنان .

وفي لحظة هدات الحال نوعا فمشى الفكر يستعرض الحياة كما عرفها على هذا الكوكب وما استقاه من بطون الكتب وما ترامى اليه من الاخبار وتناقلته الالسن فما تبين غـــير ظلمات وظلمات مـــن فجر الانسانية حتى يومنا هذا .

دماء تسفك وسيوف تلمع وحراب تشرع ومدافع تطلق وقنابل تلقى وانانية جشعة تفتح فاها لتبتلع ما حولها فما تشبع ولا تأخذها تخمة بل انها تسير وتسير فاغرة شدقيها تلتهم الاخضر واليابس وقد غرها الطمع والتكالب وحب الرفعة فراحت تقتل وتستصفي وتأخذ ولا تعطي ، انهـــا الانانية ومحبة السؤدد والمجد تدعوها الى الفتك والسبي والهدم ، فتقمصت الانسان القوي فجمع الجموع وحشد الجند وقادهم الـــى الهلاك فكانت الخرافة الاولى التي سيطرت على العقول فآمنت بالزعامة وبدأت تقدم لها الخضوع وزعمت انه ابن الشمس ارسل ليسوس العالم بما يملي عليه طمعه وجشعه ، واقام من حوله زمرة يطبلون لـــه ويزمرون فخضعت البشرية للفراعنة والقياصرة والكهان ، تقدم لهـم فلذات اكبادها محرقة مضحية بسبيلهم كل ما يرضيهم ويؤيد سلطتهم ويحفظ كيانهم ويوهمون الناس انهم سيصلون بهم الى الطمأنينة والسعادة .

قادوا الجند الى ساحات القتال ودارت رحى الحرب بـــين اقوام واقوام ، وقامت ممالك وانهزمت ممالك بين سفك الدماء وخفق البنود فهل سعدت البشرية واطمأنت ؟ او مـــا زالت الحروب تشن والادمغة المولدة تخترع آلات الدمار والفتك والاجسام تتجندل ؟ فهل نالت البشرية راحة او توصلت الى السعادة المنشودة ؟

قامت الزعامات وتألفت الاحزاب وتجمعت الجموع وارتفعت الرايات وانتشرت الشعارات واذيعت الخطب وكثرت الاقوال وعقدت المؤتمرات في سبيل السلام ، فهل حققت أملا ؟

ولما يزل الانسان يسعى وراء الطمأنينة ويسأل عن مكان السعادة فما ظفر بشيء وكأن ذلك كله قبض الريح ، ومـــا زال الفلاسفة يحلمون بالسعادة والمفكرون يبدون آراء ، فـــلا احلام الفلاسفة فسرت ولا آراء المفكرين اثمرت ، والسعادة بعيدة وبعيدة نطلبها ولا نجدها ، نسعى اليها ولا نتبين تباشيرها ، وكأنها كلمة جوفاء لا حقيقة لها ، ولما تزل البشرية جادة وراءها ولا بد لها من ان تظفر بها يوما :

أعلل النفس بالآمال ارقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

ولا بد من يوم تلغى بـــه الحروب وتحجب الدماء وتضمحل الانانية وتسود المحبة وبها تحل المشاكل . والنية الصالحة تثمر وتعطي وليس عند الله امر عسير . فمتى يكون ذلك اليوم وانه لقريب يرتع فيه الابناء والاحفاد والحب رائدهم والحق هدفهم ونور القلوب يبدد الظلمات .

عيسى ميخائيل سابا



خليل مطران

خليـــــل مطران

داعية الوحدة ـ عاشق الضاد

يوليو ١٨٧٣ ــ يوليو ١٩٤٩

بقلم محمد الخضري عبد الحميد

* * *

اشتهر خليل مطران بلقب (شاعر القطرين) ، اذ كان شعره معبرا روحيا بين القطرين العربيين الشقيقين : مصر، ولبنان .. الا انه لم يلبث ان استحق عن جدارة لقب : شاعر (الاقطار) العربية .. بعد ان ملأت ترانيمه كل آفاق الوطن العربي الكبير .

ولد في « بعلبك » اقدم مدينة في العالم (؟!) في يوليو ١٨٧٣ من دوحة تتفرع عن ارومة (الأزد) الذين كانوا يسكنون قديما ارض اليمن .. فلما كانت كارثة (سد مأرب) نزحوا الى الحجاز حيث نزلوا في تهامة ، عند نبع ماء سمي بـ (غسان) .. ومنه اشتقت كلمة « الغساسنة » .

عاش حياته عربيا قحا ، لم تنل من فطرته العربية الاصيلة مستحدثات الحضارات الخارجية .. وكان يؤمن بأن : (العربية ــ لغتنا الشريفة) هــي لسان العروبة وعنوانها .. فنذر عمره لاعلاء شأنها ، والتغني بجلالها وسموها ، واجتهد ــ مخلصا ــ طول حياته في الحفاظ على قدسيتها ، ولم يأل جهدا في اثرائها بما ابتدعه من شعره من وصف قصص ، وصور عصرية جديدة زاهية ، جددت بحق من شباب الشعر العربي وحيويته ، ولكن بغير خروج ، ولا رعونة ، ولا مروق !

مطران .. داعية الوحدة

كان خليل مطران داعية متحمسا الى الوحدة ، وحدة العرب ، والتئام شملهم في وطن واحد كبير حول لغتهم (العربية الشريفة) ــ هكذا دائما كان يدعوها ــ والتوكيد المستمر بأن وطن كل عربي يمتد من المحيط الى الخليج .

ولكن كيف كان حال وطنه العربي آنذاك ، حتى ندرك اي (شجاعة) كانت تتسم بها مجاهرة (شعرية) كهذه النغمات الوحدوية التي لا تكاد تخلو منها قصيدة مــن قصائده ؟ .. كان مسقط رأسه لبنان ولاية عثمانية .. وكان الحكم العثماني استبداديا طاغيا ، وكان الناس ساخطين على ذلك الحكم متبرمين به .. ولم يرق الوضع للشاعر الفتى (وعمره وقتذاك لا يتجاوز الثامنة عشرة) فنظم قصيدة حماسية يستنهض بها الهمم ان تهب للقضاء على نير الاستبداد العثماني .. فكانت هي التي اثارت الحاكمين عليه ، وكانت هي السبب في اخراجه من لبنان .. وهكذا كان سبب خروجه من لبنان : (قصيدة وطنية) ! :

بني العرب فيم الصبر والحال ما نرى   ويأبى علينا الخسف تاريخنا قدما
وحتام نطوي العمر والليل دامس   ونحتمل الاجحاف والضيم والظلما

كان هذا هو « اللون المختار ! » الذي آثر الطائر الصغير ان يبدأ تغريده به ، ذلك على الرغم من نصيحة مبكرة اسداها اليه ابوه قال له فيها : « يا ولدي ، برضانا عليكم ، لا تتعاطوا هذه الصناعة ، لاننا ما وجدنا شاعرا على جسمه قميص » !

ومــن شعره في تمجيد وطنه العربي ، وعربيته الشريفة :

مواطن الضاد شتى في مظاهرها   وفي حقيقتها ليست سوى وطــن

فهو يعادي التجزئة ، ولا يعترف بالحدود الوهمية ، ولا يرى الا الوحدة والاتحاد مسلكا منطقيا ، ومنهجا للعزة الحتمية كريما :

بلادكــم فاجعلوها نصب اعينكــم   وأيدوهــا علــى الاحداث تأييــدا
ولا تضنــوا عليهــا بأتحادكــم   فان خير الهوى مــا كان توحيدا

.. ومن الباحثين من ذهب الى ان مطران كان اسبق من شوقي الى البيت الذي قال (شوقي) فيه :

وطني لــو شغلت بالخلد عنــه   نازعتني اليــه في الخلــد نفسي

فان مطران ــ فيما يقال ــ هو الذي كان سباقا الى هذا المعنى في بيته القائل :

وطني لــو يبعدنا عنــك يومــا   بيع خلد النعيم ، لــم نشر خلدا

وفي اعتزازه بقومه يقول :

انـــا لا شيء غـــر اني بقومي   اسعـــد الطالبـــين للعلـــم جـــدا

عاش مطران في مصر بين اخوة له .. سبعا وخمسين سنة .. محبوبا منهــم محبا لهــم ، يستجيب لدواعي

الاحداث ، ويشارك في مقتضيات المناسبات .. وفي هذا المقام ما اكثر ما قال عن مصر ونيها ، مما لا يكاد يدركه حصر .. وبحسبنا في هذه العجالة المقتضبة ايراد اماثيل سريعة يستدل منها على وفائه العميق الكبير ، لهذا الوطن الكريم الطيب المضياف :

مصر العزيزة ان جارت وان عدلت ... مصر الحبيبة ان نرحل وان نقم
نحن الضيوف على رحب ومكرمة ... منها وانا لحافظون للذمم
جئنا حماها وعشنا آمنين به ... منعمين كان العيش في حلم

ويقول ايضا :

جنة الامصار مصر ... حبها دين وأصر

ويقول كذلك :

الجود في اهل مصر طبع انفسهم ... كالعرف في الورد، او كالنور في الشهب

وما اكثر ما يقول ! .. وحتى عندما ثقل كابوس الاحتلال البغيض على صدر (مصره الحبيبة) لم يك يفقد الامل لحظة في انها لا بد ناهضة تنفض عن ثوبها الناصع غبار ذلك الرزء المرير .. كما لم يك في هذا متورعا كالعادة وفي نفس ظروف (الجو) الذي اخرجته فيه من لبنان قصيدة ! عن ان يجهر دائما ، وفي اعلى صوت واوضح بيان واكمل يقين :

ستعود مصر الى سني مقامها ... وتطيب من خبث لها الاعوام !

وما اصدق القول البليغ : (قلب المؤمن .. دليله) !

عاشق الوحدة .. الوحدة في كل شيء

كان خليل مطران — كما اسلف القول — من عشاق الوحدة ، والداعين بدأب واصرار اليها .. عاش لها ومن اجلها .. وكانت حياته عينها « وحدة عربية » في حد ذاتها .. فكل اقطار العرب وطنه الواحد .. وهو اذ يرى وطنه الكبير هذا مقسما بالحواجز النظرية والفواصل الوهمية التي صنعها المستعمر الماكر الدخيل ، يعز عليه ان لا يجتمع شمل هاته الجنات المتشابهات .. فيظل يدعو وينادي جاهرا بأمله في ان يرى هذه الرياض قد انتظمها عقد واحد ، فجمع شملها : قلبا ، ونفسا ، واهدافا :

جنة عند جنة عند اخرى ... آه لو ظل حبلها في اتصال
وطن واحد فان نقل الاو ... طان فالجمع فيه جمع اشتمال

ولقد ابلى بلاء حسنا في الدعوة الى (وحدة) اخرى في اطار غال من اطر لغة الضاد ، وحدة شعرية .. فدعا الى (وحدة القصيدة) في الشعر .. وكان — وهو الشاعر المجدد ، وشتان بين (تجديده) وتجديد آخر عجيب نسمع به هذه الايام ! — لم يسلم في زمانه من قوم يبدو انه لا مفر من وجودهم في كل زمان ومكان ، عابوا عليه ما اتى به من تجديد — فلم يملك الا ان قال لأولاء مفحما مردعا : « — يا هؤلاء !! .. نعم ، هذا شعر عصري ، وفخره انه عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر » ! .. لكم كان مظلوما اذا قيس تجديده الرصين الملتزم لقواعد الشعر الراسخة واصوله وقوافيه .. بما يزعم (مجددو هذه الايام) انه ... تجديد !

اعلى انه يقضي على نظرية (الجمال في البيت الواحد) بصرف النظر عن علاقة ذلك البيت (الجميل !!) بالقصيدة بأجمعها ككل ، وما اذا كان ذا صلة وثيقة ببدايتها ونهايتها ، اومقطوع الصلة بالاستهلال والخاتمة جميعا ! .. وفي دراسة للدكتور سامي الدهان حول هذه النقطة ان خليل مطران قال انه : « لا ينظر الى جمال البيت المفرد ولو انكر جاره ، وشاتم اخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام » ! .. فأراد بذلك ان يكون الجمال بجملة القصيدة : « في تركيبها ، وترتيبها ، وتناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور القصور وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشغوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر » .. ولخليل مطران (قصة شعرية) — فذلك اقرب وصف اليها — فهي قد استغرقت ثماني عشرة صفحة متصلة لا انقطاع فيها ولا عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ، في ابيات مخمسة ، جعل عنوانها : « الجنين الشهيد » .. قص فيها قصة فتاة قروية بائسة نازحة .. دفعتها ظروف العيش الى ان تستجدي الاكف لتعول اسرتها .. فلما نضجت انوثتها وكانت تعمل في حانة ، اوقعها فتى مستهتر في شراكه باسم زواج مقبل ، حتى حملت منه سفاحا .. فتركها وفر هاربا ! .. ولم تجد هي — درءا للفضيحة — الا ان تقتل الجنين ، ثم تواصل العمل .. ولكن في طريق آخر ، اكثر انحرافا ! .. في تلك القصيدة ، التي يبدو ان الشاعر عاصر احداثها عن كثب فهزت وجدانه المرهف هزا عنيفا ، حقق مطران (وحدة القصيدة) في الشعر العربي المعاصر ، كأروع ما تكون الوحدة العضوية الجمالية في الشعر ، مبنى ومعنى .. حتى لقد وصفها صاحب مجلة سركيس بأنها : « الياذة الشعر الحاضر .. ومعلقة النهضة الشعرية العصرية » !

مطران .. شاعرا مجددا

ما الشعر ؟ ... يقول « الزهاوي » في تعريف الشعر :

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه ... فليس حريا ان يقال له شعر !

وشعر مطران توافرت فيه هذه الخاصية السحرية التي (تهززك عند سماعه) ! .. فهو الشدو الرخيم الصافي ، يصدح به لسان عربي ، نابعا من جبلة فيها خلاصة مركزه مبلورة لكل ما في الجبلة العربية من سجايا اصيلة ، وخلال جميلة عريقة ..

اذن ... فما التجديد ؟

نعتقد انه يمكن القول — والقول من عندياتنا ! — بأنه : التجميل والاثراء .. دون اخلال ، وبغير مروق !

ولئن كان مطران وصف شعره ، على ما عرف عنه من تواضع ، فلم يستطع الا ان يفيه حقه ، فيقول انه :

« مدامع ذرفتها ، وزفرات صعدتها ، وقطع من الحياة بددتها ثم نظمتها ، فتوهمت انني .. استعدتها » ! .. فبم يوصف : تجديده ؟ !

يصف هو نفسه تجديده ، في مقال بمجلة « الهلال — اغسطس ١٩٤٩ » فيقـول ، ونصب عينيـه اللغة ، والاستمساك باللغة : « .. وخلاصة مذهبي فيما اريده .. وهو لا يختص بالشعر ، بل يتناول ضروب البيان بل يشمل ضروب وسائل المعاش بمعنى المعاش الراقي البالغ غاياته من جهة سمو الاخلاق وبدائع الطرف الحسية والمعنوية التي نستمتع بها فعلا وينكر بياننا ان لنا بها ادنى صلة .. خلاصة مذهبي اذن هي ان تتعلم ايها القارىء لغتك اولا ، وان تتمكن منها كل التمكن ، وان تستذكر منها كل ما في مفرداتها وتراكيبها واساليبها السليمة الفصيحة من شائق ورائق ومطرب وجميل ، وان تمثل هذه المادة تمثيلا ثم تحملها وهي مصورة الى معملك الاسمى ، وهو ذهنك ، وتبتكر ، وتحدث سببا صحيحا كريما لتكليفك الناس ان يقراوا شعرك ونثرك .. والا فان لم تكن الا محاكيا .. فما حاجتهم اليك والسابقون افصح منك لسانا وابلغ بيانا واقدر علـى التصرف في لغتهم الطبيعية التـي اخذوها بالرضاع » !

ذلك — اذن — هو التجديد ! .. بعد هذا يكون من اليسير ان ننظر في تفسير للدكتور محمد مندور في تجديد مطران :

« .. وتجديد مطران الشعري لا يقف عند التجديد في شكل القصيدة العام بتحقيق الوحدة العضوية لها ، بل يمتد هذا التجديد الى ديباجة الشعر ذاتها ، وموسيقاه ، فهو في الوصف مثلا يمكن القول بأنه رائد ما نستطيع ان نسميه في شعرنا العربي الحديث بـ (الوصف الوجداني) اي الوصف الذي يختلط فيه الشاعر بالطبيعة وينقل اليها احاسيسه والوان نفسه ، كما يتلقى عنها كل ما يواتي حالته النفسية الراهنة على نحو ما نحس في وجدانياته الوصفية » .. ثم جاء لنا الدكتور مندور — رحمه الله — بمثال « مطراني » على ما ساقه في هذا المعنى التفسيري :

شاك الى البحر اضطراب خواطري ... فيجيبني برياحه الهوجاء
ثاو على صخر اصم وليت لي ... قلبا كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي ... ويفتها كالسقم في اعضائي
والبحر خفاق الجوانب ضائق ... كمدا كصدري ساعة الامساء
تغشى البرية كدرة وكانها ... صعدت الى عيني من احشائي
والافق معتكر قريح جفنه ... يغضي على الغمرات والاقذاء

على ان للشاعر : تجديدا آخر ..

فهو قد اسهم بنصيب ملحوظ في امداد العربية بثمرات القرائح العالمية .. فعرب اربعا من رائعات (شكسبير) الخوالد .. حفزه الى ذلك : « انفعال .. فاقتناع » .. قـال في كلمته التي صدر بهـا ترجمته لـ : « عطيل » :

« رغب الي جورج افندي ابيض ، صاحب الفرقة المعروفة (الآن) باسمه ، في ترجمة هذه القصة فترددت زمنا ثم اتيح لي ان رايته يمثل تجربة من « اوديب » فأعجبني اتقانه ، واتقان بعض اعوانه ، فاستخرت الله في نقل عطيل الى لغتنا الشريفة » .

وهو عندما ينقل هذه الروائع الى (لغتنا الشريفة) لـم يكن مجرد (مترجم حرفي) او ناقل .. وانمـا كان — كالعهد به — (مجددا) .. مؤثرا للجمال والفائدة .. وفي هذا رجعنا الى مقارنة اخرى عقدها الاستاذ عبد الرحمن صدقي .. بين ما كان يفعله بعض المترجمين ممن لم يكن يهمهم التزام النص ، او على الاقل مسايرة (روحه) ! .. فذكر ان في (ماكبث) لشكسبير تظهر الساحرات في مستهل الفصل الاول يتواعدن للتعرض بمكرهن وسحرهن للقائد (ماكبث) .. فأجرى خليل مطران على السنتهن الحوار نثرا رقيقا جزلا كأنه الشعر نعومة ولطفا :

الساحرة الاولى : من اين مجيئك يا اختي
الساحرة الثانية : كنت اقتل خنازير .
الساحرة الثالثة : وانت يا اختي .
الساحرة الاولى : كانت امراة ملاح ، تحمـل في حضنها كستناء ، وتقضم ، وتقضم .. تقضم تقضم .. فسألتها شيئا منه فطردتني قائلة : (اغربي يا ساحرة) ! .. ان زوجها قد سافر الى (حلب) ليكون ربانا بدجلة .. سأركب الغربال مقلعة اليه .. وسأعمل سحري كما يعمل الفأر نابه : قرضا ، قرضا ، قرضا ..
الساحرة الثانية : الطبول الطبول . مكبث يقترب !

فلننظر الى ما فعله بترجمة المسرحية عينها مترجمان هما : « عبد الملك ابراهيم ، واسكندر عبد الملك — عام ١٩٠٠ » مما يصفه الاستاذ عبد الرحمن بأنه : « النقل فيه لا يطاق ، ولا يمت بسبب الى الاصل » .. فلقد ضربا — سامحهما الله ! — بما اجراه شكسبير على السنة الساحرات عرض الافق .. وراحا يجريان — في ترجمتهما — على السنتهن مثل هذا الـ ... الكلام ! :

هيكات (كبيرة الساحرات) : « قلش قلش ، ملش ملش ، بحق الله الواحد القهار ، اقسم عليكم يا معشر الخدام والاعوان الكرام ، ان تنزلوا مـن الحق الاعلى بالسكينة والوقار ، وتطردوا الخدام والساكنين في هذا المكان هم وقبائلهم واعوانهم واجناسهم ، وافشلوا حركاتهم حتى تنقض حاجتنا .. بحق طاش طروش ، توكلهم يا روفائيل ، ويـا سمسمائيل ، ويا جبرائيل ، ويا ميكائيل ، ويـا عدبائيل » !

ولنا ان نتصور مدى الجناية التي تجنيها الترجمة بغير حس ولا ذوق ولا امانة ادبية .. ناهيك برقة الشاعر وغوصه الى اعماق النفس البشرية يستخلص من خصائصها وسلوكها انسب المعطيات التي تنم عنها وتوحي بها وفي

يأس وأمل

لم أزل حيرى بوادي الظلمات ... ويح نفسي من افانين الامل
ادفن الاحزان في قبر الموت ... اسكب الاشجان في شعر الغزل
قد سمعت الطير يشدو ويبين ... ورأيت البدر نورا كاملا
وسمعت الليل يشكو في أنين ... رغم ان الضوء يسري هائلا
قد سمعت الشاعر المسكين يشدو ... في حنين وبكاء مستمر
ينظم الاشعار تدوي ثم تغدو ... بعد حين ومضة لا تستقر
ليت شعري اي نفس ليس يرجو ... كل أمن رغم تنكيل الزمن
يحفظ الله امرءا قد راح يسمو ... فوق آفاق البلايا والفتن
قد شجاني ما يعانيه الاناس ... من عذاب وشقاء ولغوب
لهف نفسي اي خير في انتكاس ... اي جدوى عند دنيانا الكذوب
شفني الحزن الذي غش الورى ... وأحال الكون عندي كالقتام
كلما جلت بعيني كي ارى ... لم أجد الا ظلاما في ظلام
أمة الامجاد حيرى كالطريد ... كحمام هارب من صائد
تارة تخطو كما يخطو الوليد ... ثم آنا كالغزال الشارد
أيهذا العهد يا من تفصل ... بين عهدين ظلام وضياء
أنت عندي تاج عز انبل ... لك عندي كل خير وولاء
سوف ننسى ما .... سوف ننسى ما لقينا من عناء
سوف ننسى ما فقدنا من شموس ... كي نلاقي ما افتقدنا من ضياء
سوف نرسو فوق شط من رمال ... سوف نلهو عند موسيقى المياه
سوف نحظى بشذى تلك الظلال ... سوف نحيا بالاماني في الحياه
سوف نسمو فوق اوهام البرايا ... حيث نحيا في هدوء وابتسام
حيث ننجو من ملمات المنايا ... ونرى الدنيا على ضوء السلام
سنظل العمر نشدو كالطيور ... ونبيت الليل في نوم عميق
حيث لا وهم ولا قلب يثور ... بل حياة كلها حب رقيق

عين شمس — مصر

جميلة العلايلي

ذات الوقت لا تنبو ولا تسف ، ولا تجمح بعيدا عما لا يمكن ان يدور بمخيلة المؤلف الذي هو « الشاعر » شكسبير !

لغتنا الشريفة ..

ولكنه احترام العربية ، لغتنا الشريفة كما وصفها — بحق — خليل مطران .. يحدوه الى ان يتهيب — في غمرة تجديداته — ان يدخل عليها ما يشوه جمالها الفطري الاصيل .. وما ذلك الا لانه عظيم الاكبار لها ، شديد الاعتزاز بها ..

أوليست هي التي قالت على لسانه ، او قال هو على لسانها :

وهل لغة قديما او حديثا ... تعد بوفرة الحسنات مثلى ؟!

بلى ! .. وانها ، هي عينها ، عربيتنا الخالدة الشريفة ، التي قالت على لسان مطران ، او قال مطران على لسانها :

انا العربية المشهود فضلي ... اأغدو اليوم والمغمور فضلي
وفي القرآن اعجاز تجلت ... حلاي بنوره اسنى تجل
اذا ما القوم باللغة استخفوا ... فضاعت! .. ما مصير القوم؟ قل لي!

ملوي — مصر

محمد الخضري عبد الحميد

عباس الخليلي

١٣١٤ — ١٣٩٢

١٨٩٦ — ١٩٧٢

بقلم عجاج نويهض

* * *

ذكرنا في الكلمة السابقة في العدد الماضي من « الاديب » (ديسمبر ١٩٧٧) ، ما يتعلق بنشأة الاستاذ جعفر الخليلي ، العلامة الاديب العربي المؤرخ ، ومن رائدي القصة العصرية في العراق ، وقد وضع عنـه الدكتور هاميل ، العلامة الاميركي ، الاطروحة بالانكليزية . وبسطنا الكلام في المقال الماضي عن هذه الاطروحة ومنزلة الخليلي في الادب العربي المعاصر . وترجم الاطروحة الى العربية رائدان في فن الترجمة ، فترجم الاستاذ وديع فلسطين قسما ، واكمل الباقي الدكتور صفاء خلوصي ، وقدم للترجمة امام من ائمة الشعر والنثر ، شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن . واطروحة الدكتور هاميل هذه تفتح نافذة يسري منها شعاع الادب العربي الى قراء الانكليزية ، وهذه خطوة حسنة مباركة في بابها .

ونتكلم اليوم عن عباس الخليلي اخي جعفر واكبر منه بثماني سنين ، واذا كان الاستاذ جعفر ولد سنة ١٩٠٤ ، واخوه عباس فارق النجف الى طهران سنة ١٩١٨ فيكون الاستاذ جعفر عاش مع اخيه عباس ١٤ سنة في ظـل والدهما الشيخ اسد الخليلي ، وهذه الشركة في النشأة توجب علينا ان نترجم لعباس ايضا ، وهو ركن من اركان الادبين العربي والفارسي وشاعر عالي الطراز في اللغتين الشقيقتين . وما ينطبق على احد الاخوين ينطبق على الآخر من حيث الاستقاء من معين والدهما الشيخ اسد علامة وقته ، وكان متقنا لعلوم العربية حافظا للشعر القديم الاصيل ، على ما اتينا على ذكره ، وخاصة مجالس الادباء والشعراء في النجف في الفصل الماضي .

ان قصة عباس الخليلي رائعة الطموح ، والوقائع من الالف الى الياء . وقد عني بتنشئته ابوه عناية فائقة ، كما اخبرنا الاستاذ جعفر ، لان كان قد ولد للشيخ اسد اولاد قبل عباس ، فلم يعيشوا طويلا ، فلما ولد عباس نذروه للوطن ولله وجعلوا يعتنون بتربيته ، فتكون نشأة عباس واطلالته على الآفاق آخذتين بعض العقد الاخير من القرن الماضي ثم ما تتالى من العقود من هذا القرن .

فرأينا ان نضع خطوطا عريضة لفترة الشباب الواعي من فترات المراحل في حياة عباس من ١٨٩٥ فما بعد ، وهذه الصور (واللوحات) هي التي ارتضع من افاويقها ، وهو معبقر العقل شفافه ، ومنازع عباس من بيئة النجف منازع عربية اسلامية ، اذ كان الطلاب في النجف الاشرف ليسوا من النجف وكفى ، بل من سائر العراق والهند وايران حتى الصين ، فهذا الاحتكاك المدرسي وسع من آفاق عباس ، فلما وقعت الحرب العالمية الاولى كان في الثامنة عشرة ، وكانت ينابيعه ، ما عدا المدرسية ، مجلات المقتطف والهلال والمنار والجامعة والمقتبس ، هذا وسنة ١٩٠٩ اضيفت مجلة العرفان في صيدا الى مكتبة ما يقرا ويناقش فكريا وعلميا واجتماعيا .

لما اخذ العباس يشب عن الطوق ويترعرع في النجف الاشرف ، ويتطلع في الآفاق ، كانت هذه الآفاق لا تزال تتردد فيها آهات الاسى والاسف على فراق ثلاثة مـن العظماء ، هم حملة عرش الدعوة الاسلامية والعربية ، نذكرهم حسب تواريخ وفياتهم :

١ — السيد جمال الدين الافغاني ، ت ١٨٩٧ في الآستانة .

٢ — السيد عبد الرحمن الكواكبي ، ت ١٩٠٢ في القاهرة .

٣ — تلميذ الافغاني الشيخ محمد عبده ، الاستاذ الامام ت ١٩٠٥ في الاسكندرية .

ومن غريب الاتفاق في خفايا القدر ، ان علقت بوفاة السيدين الافغاني والكواكبي شكوك لـم يزل الباحثون يذكرونها الى اليوم ، وهـي الغموض الشديد في سبب الوفاة . ولسنا هنا بمتعرضين لهذا . ولكننا نقول انه بعد وفاة الاستاذ الامام بثلاث سنين وقع الانقلاب العثماني ١٩٠٨ الذي كـان ظاهره الدستور او « جمعية الاتحاد والترقي » وباطنه بؤرة الشرور او مكايد جمعيات اليهود والصهيونيين في هدم الكيان العثماني للوصول الى فلسطين . وفي سنة ١٩١٤ وقعت الحرب العالمية ومن نتائجها احتلال البلاد العربية المنسلخة عن السلطنة العثمانية تحت اسم مموه هو « الانتداب » المزيف .

اما في المملكة العثمانية فعلى الجملة كانت الحال العمرانية والثقافية تقريبا واحدة ، ما عدا تميز بيروت بنهضة علمية ادبية صحافية تضاهي بها مصر . والحكم للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩) الذي الفت فيه الكتب العديدة بجميع اللغات تصف حكمه وحياته الخاصة مدة ثلث قرن ، وهو الفرد المستبد . ولنلاحظ هذا : الى الحرب العالمية الاولى كان الوالي متى ما عين لبغداد او البصرة ، عليه ان يركب البحر من الآستانة الى مصر فيجتاز ترعة السويس ثم البحر الاحمر ، فبحر العرب ثم الخليج حتى يصل البصرة ثم بغداد . لبنان له نظام خاص يحكمه وال مسيحي كاثوليكي يرشحه «الباب العالي»

وتوافق عليه الدول ذات الامتيازات وهذا كان جاريا منذ ١٨٦٠ وبقي الى الحرب العالمية فلما دخلت الدولة الحرب الى جانب المانيا وجاءت لبنان الغت امتيازاته وجعلت تعين « المتصرف » تركيا الى يوم انسحبت في خريف ١٩١٨ .

اما مصر ، فلرزوحها تحت الاحتلال البريطاني . كان التعليم فيها « دنلوبيا »(١) ، وبريطانيا تعنى بزراعة القطن لتغذية مصانع « لنكشر » . ويحكم مصر حاكمان : هذا حكما اسميا صوريا ظاهريا ، وذاك حكما حقيقيا فعليا . الخديوي عباس حلمي الثاني(٢) (١٨٩٢ ــ ١٩١٤) واللورد كرومر(٣) . ولما وضعت الحرب الاولى اوزارها قام سعد زغلول بنهضة مصر هو وصحبه مبتدئا سنة ١٩١٩ وتوفي سنة ١٩٢٧ فكانت ثورة مصر والثورة العراقية سنة ١٩٢٠ اول الانتفاضات في الشرق العربي بعد الحرب الاولى ، فاقتعد سعد من زعامة مصر مقعد القيادة والرياسة فاستيقظ العالم العربي على حركة سعد . استيقاظ الهند على حركة غندي في الشرق . وانما اكتسب حزب سعد « حزب الوفد » عالميا لان الامة المصرية التفت حول سعد ، تبرم ما يبرم ، وتنقض ما ينقض ، وكل معارضة لسعد كانت تقوم في مصر ، لا تلبث ان تنهار وتتلاشى ، وجعلت مصر تكون رأس العالم العربي من قبل ظهور سعد ، فهي حاضرة عالم الضاد في العلم والادب وكل وجوه العمران . منارتها اعلى المنارات . كل عربي حر كان يلوذ بها يشرب من نيلها العذب ويأكل من خيرها ــ من الشام والعراق وتونس وسائر الشمال الافريقي . كانت تزدان بالرعيل الاول من الشعراء ، بعد محمود سامي البارودي . بشوقي وحافظ والمطران واسماعيل صبري . ومن سار في قافلتهم ، وازدهرت المطابع والكليات والجامعات والمعاهد ، والصحف والكتب ، هذا ما عدا الازهر الذي هو من سلسلة مصر الفقارية . وعلى الجملة صارت مصر موئل عروبة منذ انتهاء الحرب الاولى .

سنة ١٩٠٠ . انظر الى هذه المعالم العمرانية الاجتماعية في مصر : عفي عن سامي باشا البارودي لاشتراكه في ثورة عرابي . قدم ابو المكارم عبد المحسن الكاظمي مصر فاحتضنه الاستاذ الامام برا وترحيبا . في هذه السنة وقعت المحاورة الصحفية العظيمة بين الاستاذ الامام ومسيو هانوتو الوزير الفرنسي حول قابلية الاسلام للعلم . وفيها ايضا خطب الفيلسوف العربي امين الريحاني خطبته الشهيرة « التساهل الديني » في جمعية الشبان المارونيين في القاهرة . فاحدثت دويا هائلا في الشرق العربي ومهدت الطريق للريحاني ليرتفع بشهرته في العالم العربي . كما بحث السيد رشيد رضا صاحب المنار في «الوحدة العربية» من زاوية فلسفية . فقال لو ان الاتراك اتبعوا نصيحة السلطان سليم بالتعرب ، كما فعلت شعوب اسلامية عديدة من قبل ، لكان للاسلام مصر غير مصر .

واذا وقفنا عند سنة ١٨٩٨ وجدنا زيارة الامبراطور ويلهلم غليوم الثاني للسلطان عبد الحميد في الآستانة ، ثم مجيئه الى فلسطين فرسا يخته في حيفا واخذ يسير برا متنقلا في المستعمرات الالمانية حتى بلغ القدس واقام فيها اياما وزار القيامة وبيت لحم ، واهداه السلطان قطعة ارض في القدس لتقام فيها كنيسة ، ومن فلسطين جاء دمشق بطريق بيروت فاستقبلته العاصمة الاموية استقبالا باهرا حتى انه لما جاء يشكر الهيئة الرسمية التي قامت باستقباله مما قاله : « ... ومن دمشق تقتبس اصول استقبالات الملوك » . وزار قبر صلاح الدين ووضع عليه اكليلا من البرونز(٤) واهدى صاحب القبر تحية عسكرية . وكان الامبراطور غليوم في سياحته هذه وفي مواقف الخطابة والشكر اذا ذكر السلطان قال « والدي جلالة السلطان عبد الحميد » وفي دمشق خطب واعلن صداقة المانيا لثلاثماية مليون مسلم فرن صدى هذا التصريح في العالم . وفي الآستانة كان غليوم فاوض عبد الحميد بشأن فلسطين والصهيونيين ، حسب وعد منه لهرتزل في المانيا وقال لهرتزل : « في القدس ربما اعطيك الجواب » . فجاء هرتزل القدس لاول مرة واستطاع ان يتلقى جواب غليوم وهو ان السلطان يأبى المشروع الصهيوني ، فجفل هرتزل وخرج من فلسطين خائبا مذعورا ، وكانت تلك الزيارة منه

---

(١) نسبة الى المسيطر المهيمن على التعليم حسب برامج استعمارية واسمه مستر دنلوب فوصف هذا التعليم في مصر بنسبته الى دنلوب .

(٢) هو ابن توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي .

(٣) لورد كرومر (حياته ١٨٤١ ــ ١٩١٧) حاكم وسياسي مشهور في العالم الاستعماري البريطاني ولا سيما في توليه امور مصر بعيد ثورة عرابي مدة ربع قرن تقريبا (١٨٨٣ ــ ١٩٠٧) ولعل هذه المدة من المدد الطوال جدا في الحكم الاستعماري البريطاني . كان يجل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ويعتبر حركته الاصلاحية الاسلامية الاعتبار كله . والاستاذ الامام لم تكن كل الوقت المياه صافية بينه وبين الخديوي . وكانت تقارير كرومر السنوية الى حكومته عن سير الحكومة والادارة والمشروعات والمنشآت في مصر ترتقب ارتقابا لاهمية ما يذكر فيها من اعوجاجات . وكانت خاتمة حكمه سيئة ، فلما جاء يرحل اقام له رئيس وزراء مصر مصطفى باشا فهمي حفلة وداع وخطب فيها واثنى على اللورد . فلما قام اللورد يرد ، تفوه بكلام فيه اهانة للامة المصرية وكان السلطان حسين كامل حاضرا شاهدا يسمع ، فقال احمد شوقي ابو علي وقتئذ ، قبل اليوم بسبعين سنة ، قصيدة مؤنبة ردا على كلام اللورد .

منها :

لما رحلت عن البلاد تشهدت ... فكأنك الداء العياء رحيلا

اوسعتنا يوم الوداع اهانة ... ادب لعمرك لا يصيب مثيلا

ومنها :

فارحل بحفظ الله جل صنيعه ... مستعفيا ، ان شئت او معزولا

وكلها على هذا النمط وهي اكثر من ٤٠ بيتا . ومصطفى فهمي هو والد السيدة صفية زوجة الزعيم سعد زغلول .

(٤) جرى هذا في دمشق سنة ١٨٩٨ وبعد عشرين سنة ولما دخل الانكليز والقوات العربية دمشق في خريف ١٩١٨ وفي ثالث ليلة تسلل لورانس ومعه نفر من الجند ، الى قبر صلاح الدين ونزع منه اكليل البرونز الذي وضعه الامبراطور غليوم ، وبعث به لورانس الى المتحف البريطاني . بعد هذا بعدة سنين سرق الانكليز ما سرقوا من توت عنخ امون في مصر .

لفلسطين اول زيارة وآخر زيارة ومات بعد ست سنين .

ولكن المفاوضات التي كانت في الآستانة بين السلطان وغليوم واثمرت ، هي امتياز مشروع سكة حديد برلين — بغداد عبر الاناضول وهذا حديثه طويل لا مجال له هنا . وكان غليوم لما وقف حيال قبر صلاح الدين يحييه ويذكر شمائله الغراء في ملوك الارض وسلاطينها ، سارع شوقي فقال من قصيدة اولها :

عظيم الناس من يبكي العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما

وسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ وقعت الحرب الروسية اليابانية فاهتزت آسيا حتى الاعماق اذ لاول مرة تنتصر دولة شرقية حديثة الكيان على دولة غربية من اعظم دول اوروبا ، وقال حافظ قصيدته المشهورة التي منها :

هكذا الميكاد قد علمنا ان نرى الاوطان أما وأبا

وقبل حرب الروس واليابان بقليل كانت حرب البوير في جنوب افريقيا بين الترانسفال واورانج الحرة معا ضد بريطانيا ، فهزم البوير بريطانيا اولا ثم لما اتت بريطانيا بالامداد تغلبت على البوير وارتكبت اشد الفظائع واستمرت هذه الحرب من ١٨٩٩ — ١٩٠٢ وكلمة البوير من اصل هولاندي معناها الفلاح او المزارع .

في سنة ١٩٠٨ كان قد انتهى انشاء سكة حديد الحجاز من دمشق الى المدينة المنورة(٥) على امل ان تصل الى مكة فعسير فاليمن وكان يوم افتتاح الخط في المدينة المنورة مهرجانا عظيما ، لم يزل اهل المدينة المعمرون يذكرونه حتى اليوم . وقبل هذا كانت سكة الحديد بين بيروت ودمشق وسكة الحديد بين يافا والقدس قد تمتا بنحو عشر سنين . ولكن سكة حديد الحجاز قامت بها الدولة وبتبرعات منها ومن العالم الاسلامي وجعل الخط وقفا اسلاميا . واما الخطان الآخران فأنشأتهما شركات فرنسية للتجارة والاستغلال .

المجلات العربية والاسلامية : كانت في مصر المقتطف والهلال والمنار والجامعة والمقتبس ، وسنة ١٩٠٩ انشئت العرفان في صيدا . هذه المجلات او معظمها كان يطالعها العباس في النجف الى سنة ١٩١٤ واول قصيدة نظمها نشرت في العرفان تلك السنة . وكانت في بيروت مجلة « ثمرات الفنون » تشغل حيزا كبيرا في العالم العربي وكانت في تلك السنة بلغت السنة السابعة والعشرين من عمرها .

شوامخ المؤلفات في السنة الاولى من هذا القرن : ظهر ديوان شوقي (سنة ١٩٠٠) باسم « الشوقيات » واقترح عليه هذا الاسم صديقه الامير شكيب ارسلان . وظهرت الالياذة لسليمان البستاني . وظهر الجزء الحادي عشر من دائرة معارف المعلم بطرس البستاني ، وضعه واخرجه سليمان البستاني مع عدد من اقربائه آل البستاني . ولم يكمل اصدار باقي اجزاء هذه الموسوعة المفيدة ، فوقف السير بها عند حرف العين بعده تاء وآخر مادة « عثمانية » اي الدولة العثمانية . وظهر في هذه السنة ١٩٠٠ كتاب « المرأة الجديدة » لقاسم امين .

بقيت ناحية جديرة بالذكر لما لها من عظيم الاثر في تاريخ الحركة القومية العربية ، وهي ان المربي الكبير الشيخ احمد عباس الازهري ، حول في بيروت مدرسته المسماة « بالمدرسة العثمانية » وهي خارجية الى مدرسة داخلية وكتب لهذا المعهد ، بفضل هذا المربي المنشىء الصالح ، ان يكون مصنعا للفكرة القومية العربية ، فخرج منه شباب بالعشرات اصبحوا رجالات القضية العربية في الميادين السياسية والحربية ، وفي سنتي ١٩١٥ — ١٩١٦ علق السفاح احمد جمال باشا التركي عددا وافرا منهم على الاعواد في بيروت ودمشق .

هذه الملامح والمعالم والصور و « اللوحات » كانت تلوح للذهن عند استعراض الاحوال العامة من تطور في العمران سياسيا وثقافيا واجتماعيا في مصر والشام والعراق (والشام بمعناها وقتئذ تشمل سوريا الحالية والاردن وفلسطين) .

لما وقعت الحرب سنة ١٩١٤ كان عباس الخليلي في الثامنة عشرة ، فتى مليئا حيوية وطموحا ، وقوة بدنية وافرة . فقد اكتسب الاخشيشان من عادة خروجه الى اقرباء له في البادية . واتقن فنون الرياضة البدنية ، والصيد ، وقطع المسافات الطويلة ماشيا ، واحيانا مئات الكيلومترات . اما من الجهة المعنوية والعلمية والذهنية فقد كان حصل غاية ما يمكن تحصيله في مدارس النجف بالنسبة الى سنه . وصارت تجتذب قواه العقلية والفكرية المطالعات في المجلات التي ذكرناها ، والكتب الجديدة التي تظهر في القاهرة وبيروت ودمشق ، هذا كله فضلا عن مكتبة ابيه الشيخ اسد . فأصبح عباس في هذه السنة اشبه بقنبلة ، وكأنها تحمحم بيد القابض عليها تتهيأ للانطلاق .

وانتشرت فتاوي العلماء ، ونشرتها اجهزة الدولة في البلاد وكل شيء بات يدعو للجهاد فاشتعلت العزائم واشتد النداء وثارت الحميات . وبرز السيد محمد سعيد الحبوبي ، الشاعر المشهور وصاحب الديوان المأثور «بديوان الحبوبي» يدعو الى حركة الجهاد وصار المستجيبون يتقدمون للتطوع ، فتقدم العباس وقيد اسمه في سجل المتطوعين المجاهدين فلما درت امه بهذا عارضته بشدة لكن بلا جدوى .

ولا نعرج على اخبار احتلال العراق تفصيلا ، بل نقول ، والدولة المتهيئة للاحتلال بجيش ضخم تام العدة الحديثة من السلاح والذخيرة ، دخلت البلاد ولم تغن حركة الدعوة الى الجهاد شيئا . غير ان تغلب الانكليز على العثمانيين ليس معناه ان النجف قد تخلى عن كراهته

(٥) قال لي الملك عبدالله بن الحسين سنة ١٩٥٠ ان كان لشرافة مكة المكرمة اليد الطولى في تحريض القبائل الكبرى في الحجاز على معارضة وصول السكة الحديدية الى مكة المكرمة بعد وصولها الى المدينة المنورة ، خوفا من تغلب الترك على الحجاز كله في المستقبل .

المحرقة للانكليز . وبقي عباس ومن ماشاه يحسبون ان المضي بالدعوة لكراهة الانكليز ، جهاد بنفسه . ففاوض عباس استاذه الشيخ محمد عبد الجواد الجزائري ، الاختصاصي باتقان الكراهة للانكليز ، كما فاوض استاذه الآخر الشيخ محمد علي الدمشقي . ويمكننا ان نعتبر ان هذه المفاوضات كانت أول بذور الثورة في النجف .

فاتفق الثلاثة على تأليف جمعية سرية اسمها « النهضة الاسلامية » ورأوا ان يختاروا رئيسا لها السيد محمد علي بحر العلوم وفيه الصفات الكاملة لهذا العمل . وانتخب عباس سكرتيرا ، ولاتقانه الكتابة والانشاء اطلقوا عليه « فتى الاسلام » . وحفر ختم من نحاس باسم « النهضة الاسلامية » وحفر ختم آخر باسم « فتى الاسلام »(٦) . ولكي يحكم التستر فقد اتفقوا على ان يكون اجتماعهم لا في مكان واحد بل في امكنة متفرقة .

ولكن السلطة البريطانية ، وكلها عيون وآذان ، استطاعت بعد حين ان تشتم رائحة الجمعية . فكان حميد خان الهندي معاون الحاكم البريطاني مطيتهم وذلولهم الى الشرور والبغي . فجاء حميد هذا الى الشيخ اسد ونصحه ، والمسألة لا تزال الى الآن روائح وظنونا ، بأن يقتصر عباس من نشاطه السياسي . هنا رأت الجمعية ان لا بد من عمل شيء للحيطة ، وهو ان تؤلف جمعية ثانية من شيوخ القبائل وشيوخ النجف ، والجميع يكونون عصبة مقادتها بيد « النهضة » . فتم هذا ، والفت الجمعية الثانية ، وصار عباس صلة الوصل والربط بين الجمعيتين . هذا ، والقوات العثمانية لا تزال في الفرات الاعلى ومدينة « عانه » تحارب الانكليز . واشتهر رجل اسمه عباس ابن الحاج نجم البقال ، بنقل الرسائل مخاطرا بنفسه وروحه ، واما ابوه الحاج نجم فعضو في النهضة . وانضم الى الجمعية من شيوخ القبائل خارج النجف عدد وافر .

هل استوفي الاستعداد بالسلاح لاستيقاد نار الثورة ؟ كلا . فبدىء بالعمل قبل الاوان ، فقام الحاج نجم وبعض الرجال معه باقتحام سراي الحكومة في النجف وهم متزيون بلباس شرطة ، فقتلوا الحاكم مارشال معتزين ظافرين .

في هذا الوقت كان الانكليز (١٩١٨) قد تم لهم فتح شمال العراق وانسحب العثمانيون من عانه وتلك الجهات ، فعثر الانكليز على طائفة من رسائل الجمعية فأسرعوا يتداركون الامر تداركا يمنع القبائل والعشائر التي وردت اسماؤها في المكاتبات من اي عمل ، وبهذا تمكن الانكليز من الحيلولة بين القبائل والاشتراك في الثورة ، فأمست المناطق المحيطة بالنجف مقيدة لا تستطيع حراكا ، ورسا عبء الثورة على النجف وحدها ولكن كانت النجف قد

(٦) يقول الاستاذ جعفر ان الاديب العراقي المعروف الاستاذ مشكور الاسدي يحتفظ بهذين الختمين الى اليوم . ونقول ان هذين الختمين هما الآن اغلى من اثمن اللآلىء والجواهر النادرة ، للرمز الشريف الذي يرمزان اليه .

اعصوصبت وانقلبت كالحلقة المفرغة لا تدري اين طرفاها ، وانضم الى جموع الاهالي من لم يكن قد انضم من قبل .

واحكم الانكليز ضرب الحصار بالاسلاك الشائكة والجند المحيطة بالمدينة . قال الاستاذ جعفر : « فلم يبق هناك من منفذ للاتصال بين النجف وخارجها . فانقطع الماء وانحصر شرب المياه من الآبار المالحة وما تساقط من الامطار ، وشحت الحبوب وارتفعت الاسعار ارتفاعا حمل بعض الادباء ان يؤرخ الحادثة بكلمتين « حصار وغلاء » ١٣٣٦ — ١٩١٨ .

كان عباس يشارك في نشاط الجمعية وفي القتال ، ولكن الآن شلت الحركة كلها ، ولا يرتجى اي سند من القبائل ، فبقي لدى اهل النجف البسلاء اما المضي بالثورة واما الاستسلام ، وهذا الاخير لن يكون ، وطال الحصار ٤٨ يوما ، واستبد الجوع والعطش بالناس ، ولكن الانكليز لم يضربوا المدينة بالمدافع اذ لو اقدموا على هذا لهب العالم الاسلامي صارخا محتجا .

وكان هناك معقل مهم يسمى « بجبل الحويش » من استطاع احتلاله فقد ظفر ، وكانت جماعات الثوار تتناوب على حراسة هذا الجبل . فلما جاءت نوبة آل السيد سلمان ، تخلوا عن الحراسة ، وقيل ان ذلك باتفاق مع الانكليز ، فاحتل الانكليز هذا المعقل الذي هو مفتاح الغلبة وسلطوا عليه المدافع فاشتدت حلقة الحصار ضيقا .

قال الاستاذ جعفر ص ٩٥ : « وادرك الثوار ان الثورة قد فشلت ، فهم البعض بالخروج من النجف فألفوها محوطة بالاسلاك الشائكة ، فتناثروا ولجأ كل واحد منهم الى مخبأ لينجو بنفسه ، وتولى آل السيد سلمان زعامة المدينة بالقهر ، وراحوا يبحثون عن العاملين المشتركين في الثورة ، ومال اليهم عدد غير قليل ممن عمل في الثورة وكان من المعتمد عليهم في الهيئة التنفيذية » .

ونقول للقارىء الكريم في هذا الموطن :

ان التفاصيل بعد الآن غزيرة ، ولكن بحكم الضرورة ، وعلى لذة هذه التفاصيل لا بد من ايجازها لنصل الى نهاية هذه الترجمة لعباسنا النبراس . فقد استطاع ان يختبىء بزي امرأة في سرداب يخص احد الاقرباء البعداء الذين ليسوا موضع ظن او شبهة . وهل كان عباس في السرداب حرا بالحركة ينتقل من زاوية الى زاوية ؟ كلا . بل كان داخل صندوق خشبي من الصناديق التي كانت ترد الى التجار من بلاد السويد . ونقلته والدته « ام عباس » المتفانية في سبيل المحافظة عليه ، المحجبة ، الى السرداب ، وهو بزي امرأة محجبة ايضا ترتدي عباءتين ولا يظهر منها (او منه) للعين شيء .

وشاء القدر ان يكون مسعفا في اتخاذ التدابير بسرعة ، فلو وقع تأخر ليلة واحدة لوقع عباس ، الثائر ، « فتى الاسلام » في قبضة الانكليز ، كما وقع احد عشر من رفقائه ، وعلقهم الانكليز على الاعواد . وما كادت تمضي

الليلة الثانية على استسلام النجف حتى داهم المنازل والبيوت جلاوزة السيد مهدي السيد سليمان وهو يشرف على الحركة . وكان هناك رجل اسمه « تومان عدوة » وكان من اشد المخلصين لعباس ايام عز « النهضة الاسلامية » ، ثائرا مثله مقداما ، والآن في رمشة عين انقلب عليه وهو واقف على كل اموره . وتعهد للانكليز بالقبض عليه . هذا من عبر الدهر . جاء في «هكذا عرفتهم» ص ٩٨ ان تومان هذا ، كان يعرف الانكليز انه من المشتركين في الثورة ، ولكنهم راوا ان يتغاضوا عنه موقتا لينبعث بكل نشاطه للقبض على عباس وهو آمن لهم حتى اذا فشل اقتادوه وعلقوه ، وحتى لو نجح فلا مفر له من المشنقة ، وحسابه في الخيانة لعباس كان حساب جاهل .

فجاء الجلاوزة دار الشيخ اسد ليلا بغتة وبشراسة ، واقتحمت الدار فتلقاهم الشيخ اسد والفانوس بيده ، فسألوه عن عباس فأنكر ان يكون له علم بمكانه ، وزاد ان عباسا لا يساكن اهله في البيت منذ سنين ، ولا يمر بهم مرورا . ومع هذا فقد نزل فريق من الجلاوزة الى السرداب وفتشوه فلم يعثروا على ضالتهم المنشودة . والآن الساعة العاشرة ليلا . وبعد ساعتين او ثلاث من الليلة نفسها عاد هؤلاء الزبانية يتسلقون سطح بيت الشيخ اسد من الدور المجاورة ويهبطون من السطح ويطرقون الابواب ترويعا ، وعباس هناك في المكان الآخر ، في الصندوق الخشبي في سرداب بعيد من هنا في بيت مهجور ، ولكنه اخذ يشعر بضيق التنفس ، وهذا مما لا يطيقه الا الصابرون المؤمنون .

ولكي يقنع الشيخ اسد ، اولئك الزبانية بدعواه ، بعد ان طافوا البيت مرارا ، قال لهم : « اني لست راضيا عن ابني ، وقد بينت هذا لحميد خان منذ مدة طويلة ، واني مستعد ان اذهب واذكره بهذا » .

وفي النهار تجددت حملات التفتيش عن عباس لان المعلومات التي لدى الانكليز انه لم يبرح النجف . وفي النجف آبار السراديب عميقة مظلمة تبلغ خمسين مترا فأكثر . وكان عباس كما سبق القول قوي البنية خفيف الحركة فظن تومان لعل عباسا يختبىء في قعر السرداب ، اذ يعلمه من امر عباس انه يطيق من العذاب ما لا يطيقه غيره ، لثبات نفسه وشدة ايمانه ، فقال للشيخ اسد : قولوا لي اين هو والا نطلق الرصاص الى قعر السرداب فيقتل قتلا . وجربوا ان يأتوا « بنزالين » اهل مهنة ، يهبطون الى القعر فهبطوا وعادوا وقالوا لم نجد شيئا . وكان الجلاوزة يكررون عملية هذا التفتيش كل يوم ، وعباس حيث هو كاد يختنق من ضيق التنفس .

في هذه الاثناء كانت شرطة السيد سلمان قد تمكنت من القبض على جميع زعماء الثورة ، واستخرجتهم من مكامنهم واحدا بعد آخر ولم يبق متواريا لم يهتد الى مكمنه ولم يقبض عليه سوى عباس ابن الشيخ اسد الخليلي في مدينة النجف .

فعلقت السلطة اعلانات فوق بارز الجدران وعلى ابواب « الصحن الشريف » وابواب المساجد ، تنذر بالويل كل من يعرف شيئا عن عباس الخليلي ولا يخبر السلطة . وفي الوقت نفسه فتحت السلطة باب الاغراء فاعلنت جائزة خمسة آلاف روبية لمن يدل عليه . وخشي تومان ان فشله سيؤدي الى القبض عليه هو نفسه ، ولما ايقن ان عباسا ليس مختبئا في بيت ابيه ، جاء بيت الشيخ اسد وجمع ما في البيت من اوراق ودفاتر كيفما اتفق ووضع هذا في خزانة وختمها بالشمع الاحمر ، وانذر الا يمسها احد لان السلطة غدا ستفحص هذه الاوراق . والساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل .

وكان الشيخ اسد سأل عباسا ايام العمل قبل الشدائد : أفي هذه الاوراق يا ابني شيء يخاف عليه او منه ؟ فنفى عباس ان يكون في الاوراق ما يخشى منه . وفي هذه اللحظة وقعت المفاجأة المذهلة من عباس ، فانه ما كاد يتأكد من خروج تومان من البيت يائسا ، حتى خرج هو من السرداب الذي كان فيه واتى البيت مسرعا وجمع هذه الاوراق التي في الخزانة والقاها في النار . فصاح به ابوه ، ماذا انت صانع يا عباس ؟ فقال : اذا وقعت هذه الوثائق بيد السلطة فسيقضى على مئات الناس ، وانا مصمم غدا على تسليم نفسي . فصاحت به امه تستنجد برب العالمين الا ينوي هذه النية ، وعارضه الجميع ، وبعد هذا رجع عباس الى سردابه لا يتحرك ويعاني ضيق النفس في الصندوق . وصار موزع الفكر والعقل ، وتختبط مشاريعه بعضها ببعض ، وهو رغم ما سمع من صياح امه لا يرى مناصا من التسليم ، ولكن لا تسليم التسليم فوطد عزمه ، وربط جأشه ، على ان يقتل « تومانا » بهذه البندقية المخبأة معه في الصندوق .

جاء النهار وبلغت الشمس الضحى ، ولا سلطة بانت ولا احد . وبينما الكل في الشدة الخانقة ، والارتقاب المضني المحرق ، فاذا بعم العباس يجيء هابا هبوب العاصفة يقول البشرى !! البشرى !! السلطة قبضت على « تومان عدوه » ليلا لما وجدته عاجزا عن الوفاء بتعهده لها بالقبض عليه . ومن الفرح بكت ام عباس ، وابو عباس ، والجميع ، وتنفسوا الصعداء ، ولكن الخطر لا يزال قائما . ربنا اتم علينا بالفرج والخير .

اما الذين قبض عليهم وهم (١٤) شخصا من الثوار فقد حكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في (١١) منهم . وبتدخل الشيخ خزعل خان امير المحمرة فقد نجا السيد محمد علي بحر العلوم رئيس جمعية « النهضة الاسلامية » ونائبه الشيخ محمد جواد الجزائري . اما العباس فحكم عليه بالاعدام غيابيا . ونفي (١٠٥) اشخاص من اعضاء الجمعية والعاملين فيها الى مدينة سمربور في الهند .

بعد تعليق من علق ونفي من نفي ، اخذت حملات التفتيش تخف ، اذ لم يبق احد له من اثر بارز في الثورة الا قبض عليه ولقي الشدائد . فسمح للاهالي ان يخرجوا الى الكوفة ليستجموا بعد هذا العذاب والحصار والجوع ، ولكن الخروج لا يسمح به الا لمن يحمل رخصة (باص) او ورقة مرور ومن باب المدينة للتفتيش . ولما كان الشيخ اسد لم يزل يتظاهر بالصداقة بينه وبين حميد خان فذهب اليه طالبا رخصتين واحدة باسم زوجته ام عباس وواحدة باسم ابنته والحجاب وتئئذ بتقاليده يجعل المراة بهذا الحجاب لا يرى منها حتى اصابعها . ولعل القارىء اللبيب وثب بادراك شعوره ليقول ، وما تلك الرخصة الثانية والله اعلم الا لعباس لا لاخته ، لعباس الباقي في ذلك البيت الآخر كامنا فيه . فالخروج الى الكوفة فرج كبير من الله اذ بعد الكوفة يرى سبيله الى طهران .

ونحن في متابعة العباس الى هذا الحد في ثورة النجف نقصد به عدة امور : اولا ، لنبين مقدار مساهمة العباس « فتى الاسلام » الثائر ، في الثورة وكيفية نجاته . ثانيا ، بخروجه من النجف محروسا من الله الى طهران كان ينتقل بقضاء الله وقدره الى ما هو مكتوب له من الحياة الحافلة بكل انتاج عبقري . ثالثا ، ان نبين هذه المراحل له في حياته المستأنفة « لفتى الاسلام » في طهران مع الاشارة الى منجزاته في الادبين العربي والفارسي ، وهذا شيء بالغ العظمـــة .

وقصة العباس في الخروج من النجف الى الكوفة بزي سيدة مع والدته ام عباس ، ثم الى ايران ، كان قطعة من عذاب ، ولكننا نكتفي من تفصيل الترجمة بهذا المقدار . ومن احب الوقوف على التفصيل كله ، فعليه بالجزء الرابع من سلسلة « هكذا عرفتهم » الصادر سنة ١٩٧٢ للاستاذ جعفر فمنه استقينا هذه الحلقات كلها ، وقد ذكرنا اهمية هذه السلسلة في كلمتنا الماضية ، داعين للمؤرخ العلامة ابي فريدة جعفر بطول العمر نفع الله الامة بمخزون علمه ومدخر ادبه . نحن الآن لم نزل في سنة ١٩١٨ .

لما وقعت ثورة العراق الكبرى ١٩٢٠ كان العباس في الرابعة والعشرين وامسى اليوم في طهران لا في النجف ، ولما درى الانكليز بفراره طار صوابهم . كيف نجا من خروم الشبك ؟ وكيف ومتى خرج من النجف . ها هو اليوم في طهران يغرد ويصدح ويعندل ويرسل قصائده الى اخوانه الثوار في العراق ، تحيات واشواقا وهذه واحدة من تلك التحيات :

يحييكم اهـل العراق على النوى — فتى في سبيل المجد امسى مشردا
تحيـة عـان كلمـا هبت الصبا — ينوح كمـا نـاح الحمام مغردا
ان اليوم اطلقت اللسان بحبكـم — فبالامس عنكم قـد سللت المهندا
عواطف لا تنفـك تغلـي بمهجتي — الى ان ارى فوق الصعيد موسدا

ومنهـــا :

رويـدا رجـال الانكليـز ورأفـة — ان اليوم اسرفتم فان لنـا غدا
وان قصرت اقدامنا عـن خطاكم — مددنا الى مـا فوق هامكم يدا

قال الاستاذ جعفر ص ١١١ « روى الاستاذ ابراهيم الوائلي ان عباس الخليلي كان اول شاعر ورد ذكر فلسطين عند وعد بلفور في شعره . ولم يطل به المقام في طهران ، عاصمة الادب والعلم والثقافة والتغني بالتراث حتى اقتعد هناك مقعد الاديب الصدر الماهر الرائد في اللغتين الشقيقتين ثم بعد ذلك اتقن الانكليزية والم بالالمانية وقد قال لـي ـــ يقول الاستاذ الوائلي للاستاذ جعفر ـــ الدكتور مصطفى جواد انه قلما راى عالما باللغة العربية محيطا بمفرداتها كالخليلي عباس » .

ومن الآن الى نهاية ترجمته نضعه في « لوحات » :

ـــ كان معارضا لسياسة الحكومة في طهران دائما ، فأوذي كثيرا ونفي ودخل السجون مرات . ومتى عطلت صحيفته لجأ الى صديق بيده رخصة جريدة لم تستثمر بعد فيصدر جريدة جديدة .

ـــ كان دائما مساندا للمصلح الحكيم ، رجل الامة والدولة والاسلام ، السيد ضياء الدين الطباطبائي مـــن رجالات الشرق وافذاذ زعمائه ، رجـــل العقل والفهـــم والانسانية الراقية(٧) .

ـــ تآمر المتآمرون على قتله هـــو و « عشقي » الشاعر الثائر . اما عشقي فلما جاءه الجناة واطلقوا عليه النار خرج ليرى ما هناك فعاجلوه بالرصاص فهوى صريعا . واما العباس فلم يكن في البيت فانتظروه حتى اتى فأطلقوا عليه النار فأخطأوه فبادلهم النار فأصاب احدهم في كتفه وطارده حتى قبض عليه وسلمه الـــى الشرطة . وكانت السلطة وراء المؤامرة .

ـــ بعد ان اشتهر امره في الادب والسياسة والنضال الوطني اصدر جريدة « اقدام » وعاشت اربعين سنة وهي في المعارضة العنيفة . ومن مميزات فضله انه يعمل في جملة ميادين معا : الصحافة والسياسة والادب والشعر والتأليف ، فمجموع كتبه بلغ ٨٦ كتابا ورسالة .

ـــ وكان منزل العباس في طهران منزل الضيافة ومقصد الوافدين من ارجاء العالم الاسلامي والعربي ، وكان صديقه الحميم عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس كلما جاء ايران حل ضيفا في منزله الرحب الساحة القائم على الجود والكرم والسماحة .

ـــ ووضعت مجلة « المقتطف » مسابقتها سمتهـــا « الرائد » وهي شعرية دعت فيها شعراء العالم العربي ان يرتادوا القطب ارتيادا خياليا ويصفوا المشاهد المتخيلة وصفا علميا مـــا امكن ، فربحت قصيدة العباس احدى الجوائز . ولكنه ابى ان يقبـــل الجائزة النقدية ، وكان اصحاب « المقتطف » اصدقاءه فقدم اليه الدكتور صروف

---

(٧) لما توفي عليه رحمات الله منذ سنين نشرت في جريدة « الحياة » البيروتية فصلا في وصف عبقريته وحياته في فلسطين منذ كان الامين العام للمؤتمر الاسلامي العالمي سنة ١٩٣١ ـــ ٣٢ الى سني الحرب الثانية الكبرى وهو اكبر صديق للعرب وفلسطين والمسجد الاقصى .

مجموعة « المقتطف » كاملة ونشرت القصيدة في عالم الضاد وهي لا تقل عن سبعين بيتا وكل معانيها المبتكرة تصور رائدا جويا عربيا يقوم برحلة استكشاف قطبي .

ــ ترجم من الشاهنامه للفردوسي ١٥ الف بيت الى الشعر العربي ، وكان للعلامة الدكتور عبد الوهاب عزام المستوقد لحميته في هذا العمل وهنا علينا ان نوضح ارتباط عدة اشياء مهمة بعضها ببعض فنقول :

اولا ــ الفردوسي ابـو القاسم والشاهنامـه : الشاهنامه ، وكلهـا او معظمها ، شعر ملاحم الامة الفارسية ، تكلمت عن تاريخ الفرس من اقدم أيامهم الى الفتح الاسلامي ، حقائق واساطير ووصف مختلفة ، فمكانتها عند اخواننا اهل ايران عظيمة ، كالالياذة عند الاغريق ، وهي تنطوي على صور اجتماعية عديدة الالوان . واكثر عناية الفردوسي بالدولة الساسانية الاخيرة ، عناية فائقة ربما لان اخبارها اكثر تيسيرا والدولة الساسانية هي التي يعبر عنها مؤرخو العرب « بملوك الطوائف » ، وكان آخر ملوكها خسرو . توفي الفردوسي سنة ٤١١ هـ وعلى قول ٤١٦ وتقع الشاهنامه في (٦٠) الف بيت كما يقال ، وانفق الفردوسي ثلاثين سنة في جمعها ونظمها وتأليفها ، وقدمها إلى يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي على امل ان ينال عليها جائزة عظيمة فلم يتحقق امله ولم نستطع الوقوف علـى السبب . وذاعت الشاهنامه في الآداب العالمية .

ثانيا ــ الفتح بن علي البنداري : (بضم الباء) نشأ في اصفهان ولقبه قوام الدين وهو مؤرخ عربي . صنف ولخص عدة كتب لعماد الدين في تاريخ السلاجقة ، وترجم الشاهنامه الى العربية نثرا وقدمها الى الملك المعظم الايوبي المتوفى ٦٢٤ هـ فأجازه عليها . وبعد هجوم التتار وهولاكو وتيمورلنك وذهاب المكتبات احراقا واغراقا ، غابت هذه الترجمة غيابا طويلا حتى ظهرت في الاوقات الحديثة ، والبنداري نفسه لم يعرج عليه كثيرا اهل التراجم فليس له ذكر في دائرة معارف البستاني المعلم بطرس مثلا .

ثالثا ــ الدكتور عبـد الوهاب عزام والشاهنامه المترجمة نثرا : كان الدكتور عبد الوهاب عزام الرائد العلامة مشغوفا منذ اول شبابه بأن يقرأ ترجمة البنداري ، ورمى بأمله الى ان يترجم الشاهنامه شعرا يوما مـا ، وراح يدرس التركية والفارسية من اجل هذه الغاية . ولكن الاقدار هدته بالتالي بعد الاستقصاء والتفتيش الى ان يعثر عليها في برلين والآستانة ولندن وحتى في دار الكتب المصرية في القاهرة . فماذا صنع الدكتور عزام بمشروعه : انه جمع معظـم النسخ واختار اصحها ، وقـارن وقابل وطبع الشاهنامه نثرا (ترجمة البنداري) في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة طبعا فائق الاناقة والرسوم والحواشي ووسم صفحة الوسمة هكذا :

« الشاهنامه . نظمها بالفارسية ابو القاسم الفردوسي وترجمها نثرا الفتح بـن علي البنداري وقارنها بالاصل الفارسي واكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها الدكتور عبـد الوهاب عزام المدرس بالجامعة المصرية » . سنة ١٣٥٠ هـ ــ ١٩٣٢ م وهي اربعة اقسام في مجلد واحد كبير ضخم ٢٧ × ٢٠ سم .

رابعا : فلما توثقت الصلة العلمية الادبية الاخوية بين الدكتور عزام والعلامة العباس الخليلي . وفي قلب عزام غرام بالشاهنامه وشوق اليها ، ووجد في صفيـه العباس حامي حقيقتها وابن بجدتها ، طلب منه ان يرد مورد الشاهنامه شعرا ، فورد العباس نعم الورود وصدر بخمسة عشر الف بيت اي ربع الشاهنامه شعرا عربيا ، نرجو ان يكون باقيا محفوظا عند انجاله في طهران . ونطرح هذا الامل او الامنية على حملة عروش الثقافتين العربية والايرانية ، بأن يطبع ما ترجمه العباس من هذا الشعر .

ــ « الخيام » اول من ترجم من رباعياته الى العربية شعرا الشاعر اللبناني الفلسطيني وديع البستاني وذلك سنة ١٩١٢ ثم انبرى الفضلاء من اخواننا اهل الادب في مصر والعراق فترجموا « الخيام » شعرا ونثرا وهذا كله بأيدي الناس ، سوق عكاظ الاذواق . اما الفردوسي فلم يترجم من شعره الفارسي الى الشعر العربي سوى العلامة عباس الخليلي صاحب هذه الترجمة . فاذا تيسر تحقيق هذه الامنية ، فيكون نشرها من شعر العباس نشرا لارقى نوع من الشعر العربي للفردوسي .

ــ بالاضافة الى ما تقدم ، فقد ترجم العباس حصصا وافرة من شعر سعدي الشيرازي ، وحافظ ، والمثنوي ، الى العربية (راجع هكذا عرفتهم) .

ــ وقام العباس بترجمة « الكامل » لابن الاثير الى الفارسية في ١٤ جزءا وعرج على الكتب الاسلامية الحديثة فترجم الى الفارسية للعلامة احمد امين « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « ظهر الاسلام » .

ــ ولنسمع هذه الطرفة المتعلقة باحدى كتب عباس الروائية : فقد كان له كتب عديدة بالفارسية منها كتاب « روز كار سياه » فقرأ في طهران هذا الكتاب مدير الامن العام وتأثر بـه حتى بكـى وجعل يمسح دموعه ويتابع مطالعته ، وهذا في الليل . وفي صباح اليوم التالي عرج مدير الامن العام على السجن وطلب ان يؤتى اليه بعباس الخليلي ، احد السجناء فظن اصدقاء عباس في السجن ان مدير الامن العام جاء يفرج عنه بأمر عال . فلما حضر عباس وجلسا بادره مدير الامن العام بالقول : « في هذه الليلة الماضية كنت اقرأ روايتك « روز كار سياه » وبكيت كثيرا ، فجئت لاشكرك على هذه الرواية ولاخبرك ان ليس لي يد في سجنك » .

ــ قصة هذا الكتاب : كان الشاه رضا بهلوي السابق قد نفى عباسا الى كرمنشاه من غضبه عليه وشددت السلطة في كرمنشاه سبل الحياة على العباس فكتب الى الشاه كتابة

رقيقة يشكو اليه ما يعانيه ، وبعد اسبوع رفعت عنه القيود وقدم اليه بيت يليق به . وفي اثناء منفاه الى كرمنشاه عكف على التأليف ، ومنه هـذه الرواية الاجتماعية وصفوتها معالجة قضية الرقيق الابيض المنتشرة وقتئـذ في طهران وغيرها . تصور بيتا من بيوت الدعارة فيه اربع فتيات منحرفات وفي ليلة شاتية اشتد زمهريرها لم يزر الفتيات احد فجلسن حول النار للدفء واتفقن على ان كل واحدة منها تحكي لرفيقاتها كيف انزلقت وانحرفت . فالموضوع جذاب ، والمؤلف عقله عقل كاتب مصلح اجتماعي . وكان لا ينقطع عن التأليف متى ما كان في سجن او منفى . والا ، من اين اتت الستة والثمانون كتابا ؟

— ونظـم الشعر العربي علـى اختلاف ابوابه واغراضه ، وله قصيدة طارت بها الركبان ، مطلعها :

المجد يشهد يـا قحطان والكرم   ان العلى ارثنـا ان تجحد الامم
فالارض لـوح بـه خطت مآثرنا   يراعنا السيف فيهـا والمداد دم

— ولما عاد من المنفى الى طهران عاد الى المعارضة شأنه دائمـا وكانت جريدة « اقدام » جريدته ، متنفس المعارضة وصوتها وسوطها . واخرج من ايران فجاء بغداد ومكث فيها بضعة اشهر ، ورغبه الملك فيصل الاول بالبقاء في بغداد ، فشكر ، واعتذر بأن صار له في طهران عائلة وبنون ولا بد من الرجوع (١٩٣٢) واولاده اربعة يعملون في الطب والهندسة والكيمياء اكبرهم الدكتور مهيار .

— ووقع شيء من المجافاة بين الصديقين الحميمين ، عباس الخليلي المترجم ، وصفيه احمـد الصافي النجفي رحمهما الله ولم تعرف الاسباب . ولما جاء احمد الصافي يعاتب ويذكر عهد الشمل المجموع فما قاله ابيات منها :

لـذاك نايـت عنـه وفي فؤادي   بقايـا الـود يطردهـا الجفـاء
وذكرى الـود مـا زالت بقلبي   لـدى الايـام يحفظهـا الوفـاء
وابكـى كلمـا ارنـو اليهـا   ويسبقها — متى ترني — البكاء

— وكان احيانا يعمل عباس في الدولة ، فاذا هبت رياح جديدة لم يرض عنها ، استقال وولى بعيدا . ويوما عينته حكومة ايران سفيرا ومندوبا فوق العادة ، في الحبشة واليمن ، وتعلقت قصة طريفة بتوقفه في القاهرة في طريقه الى الحبشة . فلمـا وصل القاهرة واخذ يلقى اخوانه وصحبه وخلانه وبينه وبينهم عهود قديمة ، واهمها صلاته العلمية والادبية والشعرية ، وهو جد مشتاق الى هذه البيئة ، والقاهرة ملقى الكواكب والمواهب ، والاحباب والاصاحيب ، اخذ العباس يمدد وقت اقامته في القاهرة مرة بعد اخرى ، حتى اعتبرت سفارة ايران ان القضية خرجت عن حدودها فأعلمت الخارجية . ولكن الخارجية لم تبد حراكا ، وبقي حبله على الغارب حتى شبع من اخوانه وخلانه . وسجل عباس في ذكرياته قطعة نفيسة تتعلق بهذا الامر جاء فيها :

« كنت سفيرا الى اثيوبيا (الحبشة) واليمن فزرت في طريقي مصر وهي كل املي ، او غاية ما كنت اروم في حياتي . وبعد الثورة العربية (ثورة النجف التي اوجزنا خبرها) واحكم علي بالاعدام ، حاولت ان اقيم فيها ... وسعدت بلقاء اناس طالما وعدت عيني بكحل النظر اليهم ، وقد عرفتهم بالمراسلة ، ومنهم من ضمه التراب الذي وددت ان يغشى عيني ولا يواريهم ، وقد اجتمعت بمن بقي حيا ، فسررت بقدر ما حزنت على من مات وفات ، وكانت لنا محافل انس وادب على ضفاف النيل ومحاورات ادبية ... »
(هكذا عرفتهم ص ١٢٥ و ١٢٦) .

وهذه بعض ابيات من قصيدته في مصر :

فدى لك نفس الحر ان لحت يا مصر   وقل الفدى بالنفس لو انصف الحر
قصدتك مثـل النسر حلق طائرا   فلما بدا منك السنى وقع النسر
فوكري على هـام الثريا بفارس   عدلت ثرى مصر به فهو لي وكر

قلت : وهذه الابيات للعباس ، تذكرنا بقصيدة ابي المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي لما هبط مصر سنة ١٩٠٠ ، ومنها هذه الابيات :

ولمـا نقلنـا للبواخـر رحالنـا   وعفنا المطايا وهي حسرى وضلع
هجمنا على جيش من الموج ضارب   بزخـاره نحـو السمـا يترفـع
ولمـا تبينت السويس وسار بـي   الى النيل سيار من البرق اسرع
هرعت اليه عاطفا مـن حشاشتي   وقلت لصحبي هذه مصر فاهرعوا
سقى الله دارا تيم الصب نشرها   واخـرى بهـا داريـة تتضـوع

ولما بلغ العباس الحبشة ولقي النجاشي سفيرا لايران نمت بينهما بسرعة لا صلات بل اواصر من الثقة الشخصية . ولا تسل عن الهدايا من هيلاسلاسي : النياشين والاوسمة والقوالي من الآثار القديمة . وقبل هذا في صنعاء عند الامام يحي حميد الدين . وفي « هكذا عرفتهم » اورد الاستاذ جعفر طوائف من المطارحات الشعرية بين العباس وصحبه من الشعراء كنا نود ان نقتبس بعضها ولكن ضاق بنا المجـال .

من هنا حتى النهاية في هذه الترجمة ، نوجز مأساة انتهاء حياته . كان يعرف العباس في طهران تاجر سجاد كبير من الارمن ، وانما يعرفه مجرد معرفة دون ان تصل الى حدود المعاملات او الخبرة العملية . فجاءه هذا يوما ورجا منه ان يكفله لدى البنك كفالة واسعة اذ بيده صفقة سجاد عظيمة الارباح جدا . واخذ هذا الرجل يلح على العباس ويتوسل حتى انزلق وكفله بمبالغ ضخمة ، وبعد يومين طار هذا التاجر من طهران ، فنكب العباس بماله النكبة القاصمة للظهر . فأثرت به هذه الكارثة ، وهو كان يشكو مـن قبل من نوبات قلبية ، والابالة زادت ضغثا بوقوع خـلاف عائلي بينه وبين اسرته ، وبينما صحبه و « نادي القلم » في طهران يرتبون مهرجانا انيقا للاحتفاء باليوبيل الذهبي لعباس لانفاق اكثر من نصف قرن في الادبين العربي والفارسي ، التحق بالرفيق الاعلى في ١٠ شباط ١٩٧٢ واقيم له مأتم حافل دل على مكانته وعلو منزلته ، رحمه الله .

العوض للعرب بشقيقه الاستاذ جعفر ، وخير ما يصنع لتخليد ذكراه هو طبع ما ترجم شعرا من الشاهنامه كما تقدم . واني في الختام اشكر لاخي العلامة الاستاذ البر اديب هذه المنة بما فسح لي من مجال لاضع بين يدي قراء « الاديب » المقروء في الخافقين ، ترجمة هذا النابغة الفريد الطراز .

رأس المتن — لبنان   **عجاج نويهض**

ذكرى الشاعر صالح جودت

قد حملناك مرة في الجوارح   وسكبناك دمعة في المنائح
ونفضنا أكفنا منك لما   احتوتك القبور تحت الصفائح
ورجعنا من الوداع حيارى   ليس فينا من صفقة الموت رابح
قد توليت كالربيع المولى   وتخليت كالشباب المبارح
عجزت (لندن) فلم تجد منها   لمحة العلم او صفاء القرائح
واذا استحكم القضاء فما الطب بمغن ، ولا الطبيب بناجح
عشت ما بيننا كومضة برق   ثم فارقتنا فراق النازح
شهد الله لم تكن غير حلم   طار في صحوة النهار الجامح
ذهب الحلم والكرى... واستبدت   بالنيام الخطوب وهي فوادح
وأفقنا هنا ... فلا أنت غاد   بين احيائنا ، ولا أنت رائح
لم يعد منك غير نفحة ذكر   من ثناء ، وغير عطر فائح
بعد عام ونصف عام رجعنا   نتحراك بيننا في الجوانح
ام نضيعك في الزحام ، فحاشى   ان نضيع السيول بين الاباطح
كل شهر يمر بعدك اضحى   وعليه من الحداد ملامح
ليس — والله — ينقصني بك حزن   كل طير عليك في الطلح نائح
شهد الله ما نعمت بشدو   مذ توليت او طربت لصادح
وتحاشيت أن أمر (بدار) (١)   كنت فيها وجها من البشر طافح
فتجنبتها ... وقلت : حرام   كل المامة بها بعد (صالح)
أوحشت وهي ذات أنس... ولكن   كل ذكرى فيها تثير الجوارح
أيها المؤثر البيان المصفى   لك في الشعر كل اجر المكافح
حين نافحت عن سوي القوافي   كنت عن منهج الاصول تنافح
الجديد الذي يقولون عنه   كجواد في حلبة الشعر جامح
شهد الله ما به من مذاق   عربي ، ولا بيان راجح
استخفوا به فأسموه شعرا   وهو حتى في النثر ليس بصالح
أيها الجامح النقيضين شعرا   بين باس العادي ولطف المسامح
أيها اللابس القميصين بردا   بين جد التقوى ، وهزل الممازح
كنت (قيس) الهوى اذا ما تغزلت و (عمرو) اللقاء بين البطائح
كنت يا صاحبي لسانا لمصر   ان عدا حاقد ، وثرثر نابح
لك في الله — رغم لهوك — سبح   ما عهدناه بين اهل المسابح
غفر المجد والعروبة والاسلا   م ما قلت في الغرام الفاضح
أيها الغافر الاساءة لطفا   من حقود ، او من عدو كاشح
ما تناسيت أننا — كأناس —   ما خلونا من مادح او قادح
رب كف مدت اليك أذاها   فتلقيتها بكف المصافح
غفر الله للصديق المولى   فهو في رحمة الغفور الصافح

(١) هي دار الهلال التي كان الفقيد رئيسا لتحرير مجلتها « الهلال » ، ونائبا لرئيس مجلس ادارتها .

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

نزار قباني

يجدد علاقته بالامة العربية بعد تشرين

بقلم سكينة الشهابي

* * *

حين دعا توفيق الحكيم الى الالتزام الحر النابع من اعماق الاديب كنا نظن ان دعوته هذه تبرير لتناوله قضايا الشعب من فوق الشعب لا من بين الشعب ، ونعينا عليه انكماشه على ذاته في برجه العاجي . ولكننا مع ذلك اقبلنا على قراءته اقبالا ، في الوقت الذي اعرضنا فيه عن قراءة ما كتب من الشعب والى الشعب اعراضا .

بعد طود امعان وطويل تأمل اعرضنا عما سماه اصحابه ادبا ملتزما لانه لم يكن نابعا من قلوبهم ومصورا لانفعالاتهم ، بل كانوا يجرون انفسهم اليه جرا ، ويستوحونها قسرا ، مخضعينها لدستور نادى به الادب الهادف لا يستطيعون تجاوزه .

وعلى الرغم من انهم اخذوا مادتهم من الشعب ، وكتبوا عن الشعب ، ونطقوا بلغة الشعب ، فان الشعب اعرض عن هذا الغذاء الاصطناعي مقبلا على من نثروا ادبهم من فوق واعطونا صورة صادقة لنفوسهم وانفعالاتهم واحساسهم بما يحيط بهم ، ولكنهم لم يدعوا انهم يعكسون احساس الآخرين وينقلون تجارب الآخرين .

ولا يختلف موقف نزار القباني من قضايا الوطن وبشكل خاص بعد الخامس من حزيران — عن موقف توفيق الحكيم ، فقد التزم هو الآخر التزاما نابعا من اعماقه ، ولم يتقيد بذلك الدستور الذي ارهق الشعراء الملتزمون به انفسهم . انصرف نزار القباني عن اغنيات حبه ، وقصصه الفنية الخاصة الى قصص الوطن وقضايا الوطن ، ونقل الينا نفسه الشاعرة وهي تعيش احداث الامة ، واعترف صراحة انه بعد الخامس من حزيران ما عاد يستطيع التخلي عن مسؤولياته تجاه الوطن ، اخذ منذ ذلك الحين يخص امته بشعره متوجها نحوها بقبلاته تارة وبسياطه تارة اخرى ، مخالفا بذلك مبدأ من اهم المبادىء التي نادى بها الادب الهادف .

وكانت مواقفه الساخرة الغاضبة اضعاف مواقفه الراضية الهادئة . وعلى الرغم من ايماننا بأن ما يكتبه لم يكن مصباحا للامة بل عصا مرعبة لاهبة ، كنا نقرأ شعره ، يقرأه من يحب نزار ، ويقرأه من يمقت نزار ، لان الجميع لا يختلفون في انه يستحق القراءة .

وبينما كانت السياط تدمي جسم الامة العربية ونزار القباني يعلو بها ويهبط حصلت معجزة تشرين فجمدت العصا في يده وهو يستعرض موكب امة تريد الحياة . وبعد فترة من الصمت امضاها الشاعر وهو يفرك عينيه ، يريد ان يتأكد من انه ليس في حلم ، هدرت شاعريته بقصيدة فريدة اسماها « ملاحظات في زمن الحب والحرب » ، تخلى فيها عن كل تشاؤمه وتجاوز احزانه الخاصة لفقد ولده واقبل على امته بوجه طلق يسكب بين يديها حبه كله ويحيطها بقلبه كله ، ويعفر وجهه امامها طالبا منها ان تغفر له ذنوبا كثيرة دفعه الى اقترافها حبه الشديد وعطفه اللامتناهي . انه كان كالمداوي حبيبه يسقيه الدواء المر لما يعلم من نفعه له .

ان هذه الامة التي اخذها من تلابيبها في الماضي وصفعها صفعا شديدا لم تكن تستحق هذا الصفع ، ولكنها تحتاج الى العطف والرعاية . فالحوادث كشفت له عن وجه امته الاصيل الناصع البياض ، وفي هذه الحالة ما عليه الا ان يجدد علاقته بمن يحب وان يفتح صدره ليغمر امته العربية بعطفه وحنانه ، ويستغفرها ذنبا اثر على نفسه به .

ولئن كان الحزن قد اصمت نزار القباني قبل تشرين بقليل واذابت فؤاده لوعة الاب الثاكل فان شاعريته تهدر مرة اخرى متدفقة ولكن في غير مجراها القديم ، لان الطريق قد تغير حين تفجر بركان المعركة ، فكشف لنا عن وجه الشاعر الراضي الذي يحب امته حبا شديدا ، يحبها لا كما كان يحب صويحباته في الماضي ، ينقل قلبه من واحدة الى اخرى ، لان امته واحدة ، وهو في حبه لا يحاول العبث واللهو .. المحبوبة الآن امة بدت له بصورة امراة عربية تلخص لنا صور غرامه الماضي كله .

نزار القباني في قصيدته « ملاحظات في زمن الحب والحرب » يقف متعبدا في هيكل الحب وسرعان ما يغرق حتى اذنيه مع من يحب حتى يكاد القارىء يظن انه يحدثه عن حب جديد لولا صورة الوطن التي تزاحم وجه المراة وتطغى على مفاتنها وتنصهر في اعضائها :

الاحظت

كيف اكتشفنا طفولتنا بعد ست سنين

وكيف رجعنا اخيرا ..

لمملكة العشق والعاشقين ..

احسست مثلي ،

بأن رجال المظلات كانوا ..

يحطون مثل الحمام على راحتينا ..

وأن جنود المغاوير كانوا ،

يمرون فوق عروق يدينا ..

الاحظت

كيف نثرنا عليهم ،
عقود البنفسج والياسمين ..
وكيف ركضنا اليهم ..
وكيف انحنينا
امام بنادقهم خاشعين ..

هذا الاحساس القوي بالمعركة عبر به من جسر الحب الضيق الى جسر الحب الواسع ، فغامت صورة التجربة الذاتية لتحل محلها تجربة امة . وانزاحت خريطة المرأة لتستقر بدلا منها خريطة الوطن بشكله الزاهي الطلق ، كما استطاع الشاعر ان يراه :

تركت عصور انحطاطي
ورائـــي
تركت عصور الجفاف
وجئت على فرس الريح ، والكبرياء ..
لكي اشتري لك ثوب الزفاف .
تصيرين في زمن الحرب
مصقولة كالمرايا
ومسحوبة كالزرافة
وبين يدينا
تذوب الحدود وتلغى المسافة

هذا ما اثبتته التجارب والواقع القومي ، معركة الامة العربية واحدة ، ومصيرها واحد ، ولهذا فانها تخوض الحرب مجتمعة ، وتزحف الــى المعركة بجيش متلاحق متلاحم ، تفتح امامه الطريق عريضة سهلة ، وتلغى في سبيل تقدمه في المعركة كل الحواجز والحدود . هذا ما عبر عنه في المقطع الماضي بصورة رمزية ، وما يعبر عنه بشكل واضح في قوله :

قرات خرائط جسمك في كتبي المدرسية
ولا زلت احفظ اسماء كل النهور
واشكال كل الصخور
وعادات كل البوادي
ولا زلت احفظ اعمال كل
الجياد ...
فكيف افرق بين حرارة جسمك
أنت ...
وبين حرارة ارض بلادي ؟

الوطـن المعشوقة والمعشوقة الوطـن ، والامة المعشوقة ، والمعشوقة الامة .. هذا ما اراده نزار القباني بعد ان تقفز بمجراه ، وبعد ان تغلب على احزانه الفردية لان هذه الاحزان جزء من احزان الوطن فكيف يظل حزينا وبلاده تسير من نصر الى نصر ! لا عجب اذا ان يشتري لها ثوب الزفاف ويعيش في رحابها نشوة لا تعد لها نشوة . ربما نعم بالحب ، ولكن حبه الآن جزء من سعادة امته وكبريائها ، كما انه جزء من طبيعتها الجميلة الساحرة :

الاحظت ؟
كيف تغير ايقاع صوتك
حتى تصورت صوتك ينبوع ماء
وزهرة دفلى على جبهة المجدلية
الاحظت أنك صرت دمشق ..
بكل بيارقها الاموية
ومصر بكل مساجدها الفاطمية
وصرت الكتابة والابجدية

وعلى الرغم من ان نزار القباني قد انزل اسمه في قائمة الشعراء الملتزمين منذ حرب حزيران فان هذه اول قصيدة يقولها مطبوعة بطابع الالتزام الايجابي . لانه اصبح في هذه القصيدة جزءا من الوطن واصبح الوطن جزءا منه ، وتخلى عن صورته القديمة ، صورة الشاعر الناقم الساخط الذي يريد ان يدمر كل شيء ويحرق كل شيء . غدا الآن متفائلا بعد معركة تشرين وادار ظهره لحزيران الاسود فما عاد يراه ، ولم يعـد يقسو على امته تلك القسوة التي عرفناها فيما اسماه في الماضي شعرا ملتزما . لقد عاد نزار القباني الى امته ليجدد علاقته بها ، عاد يلتمس منها الصفح عن شعره القديم واخطائه الماضية . عاد ليقف امامها وقفة خاشعة متضرعة :

فهل تسمحين بتقبيل جبهتك العالية
وهل تسمحين بنسيان وجهي القديم
وشعري القديم ..
ونسيان اخطائي الماضية .

هذا هو التحول الخطير في ذات نزار من الشاعر الرومنسي الغاضب الى الشاعر الملتزم الهادىء . نعم ، لقد اصبح الآن ملتزما بكل ما في كلمة الالتزام من معنى ، بعد ان انصهر هذا الانصهار الصوفي في امته :

احبـك ..
تحت الغبار وتحت الدمار
وتحت الخرائب
احبك اكثر من اي يوم مضى
لانك اصبحت حبي المحارب

وليس هذا فقط ، فان نزار القباني يؤكد للناس انه لم يعد شاعرا رومنسيا يحلم بالدعة والاطمئنان تحت ضوء القمر الابيض لم يعد يسعى وراء الاوهام البعيدة والاحلام المجنحة ، لقد نزل الى الشعب شانه شأن اي شاعر ملتزم :

واعلن للناس أني أعارض
ضوء القمر
واكره ضوء القمر

وهذا يعني انه ادرك بحق دور الشاعر الايجابي في خدمة امته المناضلة ، ورفض كل ما يحول بينه وبين القيام بهذا الواجب ، ضاربا الصفح عن كثير من تجاربه الفنية السابقة .

وشيء رائع حقا ان يسهم نزار القباني في حمـل

المسؤولية ، وان يتراجع عن موقفه السلبي من امته المناضلة .

وإذا كنا صفقنا لنزار القباني في قصيدته هذه حتى كادت تلتهب اكفنا من التصفيق فان هذا لا يمنعنا من ان نعترف بأن مادية الشاعر في غزله المكشوف كادت في بعض المواقف ان تقلص سمو القومية في القصيدة ، فهذه الاباحية في استعمال الفاظ الغزل لا يستطيع التخلي عنها مهما كان الموضوع ومهما كانت المناسبة .

ان قارىء ملاحظات نزار يلمس جانبا من هذه الاباحية يتسرب من مزجه بين الوطن والمحبوبة ، والذي رأينا ما يشبهه عند محمود درويش وبشكل خاص في ديوانه « عاشق من فلسطين » فهل نقول ان الاستاذ يقترب الآن من التلميذ ليغترف من بحره شيئا ، ليعب من اصالته القومية ؟

لا مانع في هذا بعد ان اصبح للتلميذ مدار مستقل وغدت تسبح من حوله الافلاك . لقد غذى نزار القباني محمود درويش في طفولته الفنية فكان يمده باللفظة والصورة ، ويطغى على اسلوبه الفني فلا يستطيع الافلات منه .

اما الآن فقد غدت المسألة مسألة اخذ وعطاء بين شاعرين كبيرين لكل منهما طابعه الخاص ومذاقه الخاص .

ومهما يكن من امر فقد استطاع نزار القباني — في هذه القصيدة — بأصالة الشاعر المبدع ان يكون مع وطنه علاقة جديدة تقربه من شاطىء الالتزام .

وتعود ذكرى تشرين ويعود نزار ليغرد في دمشق ، ولدمشق ، ليغرد للبطولة وللامجاد ، وليكشف النقاب عن متاهات مظلمة بدأت تحيط بنفسه وتغمر كيانه . وكان صوته في تشرين الذكرى مشبها صوته في تشرين المعركة لتشابه الاساس الفكري والخيالي الذي انطلق منه في كلتا القصيدتين غير ان مذاق «ملاحظات في زمن الحب والحرب» غير مذاق « ترصيع بالقلم على سيف دمشق » لان الشاعر ترك كآبته في الاولى ولم يستطع ان يتخلى عنها كلها في الثانية ، ونستطيع ان نقول ان شبح هذه الكآبة ظل يطاردنا حتى منتصف القصيدة ثم بدأ بالتلاشي .

وهذا يعني ان الايحاء المنبعث من كل من القصيدتين قد اختلف على الرغم من تشابه الصورة العامة ، فدمشق غدت في تشرين الذكرى عروسا جميلة يهواها الشاعر ويقدم لها صورا من حبه وكانت في العام الماضي أمته العربية كلها امراة جميلة جددت علاقته بها معركة تشرين ، الامة العربية كلها ارتدت ملابس الزفاف لنزار القباني ، وجاءت دمشق الآن لترتدي هذه الملابس كما يشاء شاعرنا :

وضعي طرحة العروس لاجلي   ان مهر المناضلات ثمين

في ملاحظاته كنا نسمع نجوى الوطن وهنا نجوى دمشق مسقط الرأس فيض من فتات الحياة التي تعصف بذكرى الماضي ، وما يوحي به هذا الماضي من حياة صاخبة ملونة عاشها الشاعر :

يا سريري ويا شراشف أمي   يا عصافير .. يا شذا .. يا غصون

ان لون قصيدة اليوم يختلف عن لون قصيدة الامس .. ففي ملاحظات العام الماضي لم نلمح اثرا ليأس قاتم يعتصر نفس الشاعر ، اما هنا فاليأس القاتم في اول القصيدة يلف ذاته ويستولي على كيانه والذي يبدو لنا ان شيخوخة مفاجئة داهمت الشاعر ، لم يكن يحسب لها حسابا . وزاد احساسه بهذه الشيخوخة في دمشق وهو يلتقي بذكريات شبابه الماضي :

ما وقوفي على الديار وقلبي   كجبيني قد طرزته الغضون
يا زمانا في الصالحية سمحا   أين مني الغوى وأين الفتون
يا زواريب حارتي خبئيني   بين جفنيك فالزمان ضنين

ان الزمان لا يعود ولا تستطيع زواريب حارته ان تخفف ما به من لوعة ، لكن صور الحياة الجميلة الماضية حين تمتزج بالطبيعة تستطيع ان تجن الشاعر . تستطيع ان تصعد عواطفه فيحس كأنه غدا جزءا من الطبيعة ، بل ربما بدا ممتزجا بها امتزاجا رومنسيا يفوق كل ما عرف الرومنسيون من صور الذوبان :

يا دمشق .. التي تقمصت فيها   هل أنا السرو .. أم أنا الشربين
أم أنا الفل في أباريق أمي   أم أنا العشب والسحاب الهتون
أم أنا القطة الاليفة في الدا   ر تلبي اذا دعاها الحنين

واذا كانت الرومنسية قد امسكت الشاعر من يديه وحاولت ان تنسيه همومه وتسليه عن احزانه فان الواقعية الجديدة هي الاخرى تسعى نحوه مسرعة تحاول ان تغطي آخر آثار هذه الكآبة فتذكره بعهد قطعه على نفسه بعد الخامس من حزيران ، هذا العهد الذي وهب فيه الشاعر نفسه للوطن واستعاض عن برجه العاجي بخيمة ينصبها فوق قمم جباله الشامخة .

وحيال هذا ما عليه الآن الا ان يصعد من دمشق الطبيعة الى دمشق الامجاد . وهذا الصعود لن يغير في اللوحة الفنية الا تغييرا خفيفا لان صورة الحبيبة ستظل ماثلة في دمشق :

يا دمشق التي تفشى شذاها   تحت جلدي كأنه الزيزفون

وبعد ان كان مقرورا متفردا يقبل على قاسيون طالبا منه ان يحتضنه كما تحتضن الام طفلها لتشعره بالحنان والدفء والطمأنينة :

قادم من مدائن الريح وحدي   فاحتضني كالطفل يا قاسيون
احتضني .. ولا تناقش جنوني   ذروة العقل .. يا حبيبي الجنون

يأخذ في غمرة النشوة التي يحس بها في حضن امه الطبيعة . يحكي لنا قصة الرحلة الفنية التي قام بها منذ الخامس من حزيران حتى السادس من تشرين .. سبع سنوات اجتازها تخلى فيها عن هواه وحبه الفردي واتجه الى الوطن يعيش الاحداث ويسلط اضواءه الكاشفة على مشاكل الامة ويشعل نار ثورته ليحرق الاعشاب الضارة المؤذية .

في هذه السنوات السبع كان غاضبا على امته

ساخطا على وطنه ، يصب نقمته على كل ما حوله :

سنوات سبع من الحزن مرت   مات فيها الصفصاف والزيتون
سنوات فيها استقلت من الحب   وجفت على شفاهي اللحون
سنوات سبع بها اغتالنا اليأ   س وعلم الكلام .. واليانسون
كيف اهواك .. حين حول سريري   يتمشى اليهود والطاعون

وحين جاء تشرين استعاد الوطن جماله في نظر الشاعر واستعاد هو حبه في شخص دمشق . .بخور سحري صعد في نفسه الحب فغدا يحب الوطن ويعيش جماله ، واصبحت دمشق مسقط الرأس ، ورمز البطولة ، امراة جميلة يحبها الشاعر وتحبه ، عكس عليها أمانيه وأحلامه فبدت عروسا تزهو بحلة قشيبة من نسيج خيال الشاعر ، لاجل الشاعر :

شام .. يا شام يا اميرة حبي   كيف ينسى غرامه المجنون
جاء تشرين ان وجهك احلى   بكثير .. ما سره تشرين
يا دمشق البسي دموعي سوارا   وتمني .. فكل شيء يهون
وضعي طرحة العروس لأجلي   ان مهر المناضلات ثمين

ومنذ تتراءى للشاعر صورة تشرين تنزاح من امامه سحب الكآبة القاتمة وتحل محلها صور الامجاد ، وتتدافع كوى الماضي فيطل عمرو بن العاص ، ويطل المأمون ويرتدي الشاعر حلة عربية تقليدية ليستقبل وفود الماضي وليغني النصر كما غنى من قبله جده ابو تمام ، وربما حلت روح الشاعر الجد بالشاعر الابن فاختلطت امامنا صور النصر واشتبهت نقوش الماضي نقوش الحاضر :

صدق السيف وعده .. يا بلادي   فالسياسات كلها أفيون
صدق السيف حاكما وحكيما   وحده السيف يا دمشق اليقين

ولا اظن الشاعر في البيت الثاني هنا خرج قيد انملة عما قاله ابو تمام في مطلع قصيدته « فتح عمورية » . وليس هذا من القديم فقط . لقد اراد الشاعر ان يحشد للمجد كل شيء قديم : السيوف ، والتنين الذي قلع اضراسه قدموس بن ملك صيدون — كما تقول الاسطورة اليونانية — والعنقاء ، ذلك الحيوان الخرافي الذي لا يستطيع احد قتله ، والسبع العجاف التي تحدث عنها القرآن في قصة يوسف .

كل هذه الاشياء اراد ان يحقق بها غرضين : ان يشعرنا بروعة النصر من جهة ، وان يؤكد لنا ان الامجاد متعاقبة متصلة من جهة ثانية .

ولا يظنن ظان ان نزار القباني تحول الى شاعر اتباعي ، وانه سيهجر قاموسه العصري متلفتا الى القديم يطوف حول كعبته ويختلس بعض ثماره .. ان شيئا من هذا لن يحدث لان الجديد اصل في الشاعر وهو لا يفتأ يطل براسه لا ليسجل عجزا عليه ولكن ليؤكد مقدرته الفنية وليثبت لنا انه عرف كيف ينسج بردة لدمشق فيها جلال الماضي وعذوبة الحاضر ، عرف كيف يذوب عاطفته ليلف بها دمشق فتختال ساحرة بقديمها وجديدها :

كتب الله ان تكوني دمشقا   بك يبدأ .. وينتهي التكوين
هزم الروم بعد سبع عجاف   وتعافى وجداننا المطعون
وقتلنا العنقاء في جبل الشيخ   وألقى أضراسه التنين
علمينا فقه العروبة يا شا   م فانت البيان والتبيين
علمينا التفكير .. لا نصر يرجى   حينما الشعب كله سردين

والحقيقة ان الواقعية الجديدة وصلت ذروتها عند الشاعر في آخر القصيدة حين حدثنا عن حتمية التاريخ التي تفعل فعلها لتعيد الحق الى نصابه . ان منطق التاريخ سيستلم زمام المبادرة وسيستعيد شعب اصيل امجاده هذا الشعب الذي لم يعرف في تاريخه سكوتا على ضيم ووضعا للحق في غير مكانه الطبيعي هل سيظل مطأطىء الرأس ! ان الارض التي انجبت ابطال الماضي ستنجب ابطال المستقبل . ان ارضنا الخصبة لا تجود بالثمار فقط ، انها تثمر الرجال . وما دمنا جزءا من الطبيعة فستجود الارض في المستقبل كما جادت في الماضي وستعطي كما اعطت . ويحتل ابن الشام مكانه الطبيعي تحت الشمس :

ان نهر التاريخ ينبع في الشام   أيلغي التاريخ طرح هجين
نحن اصل الاشياء لا « فورد » باق   فوق ايوانه ولا « رابين »
كل ليمونة ستنجب طفلا   ومحال ان ينتهي الليمون

ان قصيدة نزار القباني هذه تبرز لنا خلاصة النضج الفني والتجديد الاصيل يلفه رداء شفاف من القديم قوامه البحر والقافية وشيء من البقع الفنية القديمة انها كابنة العصر الفاتنة ترتدي الملابس البدوية لتزيد جمالها جمالا وسحرها سحرا .

وكأني به اراد ان يثبت للشعراء المجددين ان التجديد الحق ما كان يستمد غذاءه من القديم .

او انه اراد لقصيدته ان تكون خالدة ولم يشأ لها ان تدخل موكب الخلود الا بقالب قديم وشيء من المنهج القديم ، اذ كيف يرصع سيف دمشق القديم شعر تمرد على البحر وتجاوز حدود القافية . وربما هزت الشاعر نشوة الماضي ، وتحركت به رواسب اللاشعور فامتزجت في نفسه اصالة القديم بروعة الجديد . وكان نتاج ذلك نقشا عربيا يلائم ذوق العصر ويضم تراث الاجداد .

انها معجزة الفن ان يضم المنهج العربي الاتباعي اغنية لدمشق تتلاقى فيها الرومنسية والواقعية الجديدة والكلاسيكية ، تصهر هذه المذاهب الثلاثة تجربة حية عاشها الشاعر الكبير نزار القباني .

لقد استطاع نزار القباني ان يقيم مع الوطن علاقة ايجابية جديدة بعد تشرين قوامها الحب والرضا والامل والتفاؤل ، كان ذلك بعد ان رأى تضحيات شعبه وصموده امام جحافل الطغيان .. زايله الآن شعور الغضب ، والقى جانبا عصا المربي القديم وتخلى عن نزعته السلبية لانه عرف انه من أمة حية تستعصي على الفناء ، لان في جذورها عناصر التجديد .

دمشق   **سكينة الشهابي**

المتـــــــن

((يا متن)) عدت وما جهلت الدارا فلأنت كنت ومـا تـزال منـارا
أنا ما نسيتك لا ولا اهلي نسوا يسرا أكـان الدهـر ام اعسارا
لـم تحجب الينبوع عنـا غربة جلبت لسـيرة فارضيها العـارا
ظـل الحنـين يهزنـي ويشدني عمـرا حسبت شهوره أعمـارا
عام وبعض العام ثـم تكون لي نعـم المقر وقبـل كنت مـزارا

((يا متن)) انت المتن في صحف القرى ورأيت غـيرك هامشا واطـارا
الارض ميـدان الرهان جميعهـا وربـاك خيـل عمالـق تتبارى
عمـد السماء صنوبراتك عانقت سحب النـدى وتحدت الاعصارا
شمخت كمثل طموح اهلك واستوت جبـارة توحـي العـلا الجبارا
أنا ما شممت عبير ارضك واحتوت روحي شـذا اعماقها المعطـارا
الا رأيـت زنود اجدادي وقـد غرست بقلب صخورك الاشجارا
وحمتك مـن كـل الغزاة بهمة عربـاء تأبـى ذلـة وصغـارا
نسجت حريـرك للمناكب مثلمـا ضفرت لجبهات الفخـار الغارا
حتى اذا مـا العلم آن اوانـه اطلعـت في افلاكـه اقمـارا
لـم تخل منهم ساحة في ارضنا تخذوا الدنـى لنشاطهم مضمارا
لـم يقبلوا وسطى المنازل انمـا جعلوا النبوغ لمـا ابتغوا معيارا

او ذاكر ((يا متن)) ليلـة أنسنا بالامس حين بـدا الظلام نهارا
وتألقـت بالحسن أسراب الظبـا والبـدر يسكب نـوره مـدرارا
والفرحة الكبرى تشـع كأنهـا ألـق بأعمـاق النفوس أنـارا
والناس بالحـب الصحيح تحدثوا ونسوا صغائـر فتنـة وصغارا
والعلم يرفعهم الى أعلى الذرى وهنـاك كـل فـوارق تتوارى
حتـى شعرت كأنني في جنـة ورأيت حولـي العتـرة الاطهارا
والمـاء كوثرنـا تـدار كؤوسه والارض قـد فرشت لنا ازهارا

لبنان كيف تعيش فيـك ضغينة رعنـاء حولـت العمار دمـارا
والحـب أنـت معينـه ومقـره امـا سواك أبى لـه استقرارا
هـذا الجمال تشيع فيك جذوره يوحـي السلام ولا يطيق بوارا
مذ كنت كان العدل فيك أصالة لا ترتضـي الاذلال والاقفـارا
كـم وثبـة جبـارة نبتت هنـا من اجل ان يغدو الورى احرارا
كـم شعلـة وهاجـة أوقدتهـا صـارت لكـل العالمـين منـارا
أنـت العروبة مـن قديم زمانها والابجديـة شاهـد مـا مـارى
فالباء مـن بيت الاعارب قطعـة والجيم عنـق جمالهـم مـوارا
والعين عينهم التـي تأبـى الكرى مـا دام في الدنيا ظلـوم جارا
لـم نختلف يومـا على امجادنا فلنمـلأ المستقبـل استبشـارا
ولتلتئـم هـذي الجراح فانهـا عار فهـل يرضى الاكارم عـارا

أنـا لا أحس بغربتـي الا اذا صـارت ديـاري للمذلـة دارا
واذا طغى فيهـا اللئام وشوهوا وعـدوا علـى حرماتها فجـارا
وتراجـع الانسـان في انسانهـا والوحش صـال مزمجرا هـدارا

دمشق

سعيد ابو الحسن



محمد العدناني



بقلم محمد العدناني

* * *

أدى اليه حقه

ويقولون : ادى فلانا حقه ، والصواب : ادى الى فلان حقه ، اي : سلمه اليه . راجع الآية ٥٨ من سورة النساء .

وممن ذكر ايضا جملة (ادى اليه حقه) : مفردات الراغب الاصفهاني ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قراءة التواريخ وقراءة الاعداد

يؤرخ العرب بالليالي ، لسبقها في حسابهم ، اذ الشهور المعتمدة عندهم قمرية ، واول الشهر القمري ليلة ، وآخره نهار ، فاذا انتهت الليلة الاولى من الشهر ، قالوا : كتبت لليلة خلت ، ثم لليلتين خلتا ، ثم لثلاث خلون ، الى ان تنتهي عشر ليال ، ثم يقول : لاحدى عشرة خلت ، او لثلاث عشرة ، الى ان تجيء ليلة نصف الشهر ، فيقول : كتبت للنصف من شهر كذا . ويصح ان يقول : لخمس عشرة خلت ، او بقيت ، والاول اعلى واكثر شيوعا على السنة الفصحاء .

ثم يقول في اليوم السادس عشر : لاربع عشرة ليلة بقيت ، الى اول العشرين ، فيقول : لعشر بقين ، او لتسع بقين من شهر كذا ، وهكذا الى ان تبقى ليلة واحدة ، فيقول : لليلة بقيت ، فان مضت وبقي نهار اليوم الاخير ، يقول : كتبت لآخر يوم منه . واذا قال : لآخر ليلة منه او آخر يوم منه ، دل هذا على ان الشهر القمري كامل (ثلاثون يومـــا) .

ويصح وضع تاء التانيث مكان نون النسوة ، والعكس في كل موضع يراد فيه التحدث عن عدد مدلوله جمع لا يعقـــل .

وعندما يقرأون السنوات والاعداد الكبيرة ، يرون ان قراءتها من اليمين الى اليسار افصح ، فيقولون : ولد غالب في الثامن من آذار عام خمسة وسبعين وتسعمئة والف ، وعندي ثلاث وتسعون وخمسمئة والف ابرة .

هذه هي خلاصة آراء النحاة عامة ، وآراء اصحاب النحو الواضح والنحو الوافي خاصة .

وانا ارى ان الافصح هو ما اعتدناه من قراءة الاعداد والتاريخ من اليسار الى اليمين ، ما دام ذلك قد سمح لنا به ، وما دام العرب كافة ، من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، يقرأونها من اليسار الى اليمين ، فيقولون : ولد غالب في الثامن من آذار ، عام الف وتسعمئة وخمسة وسبعين ، وعندي الف وخمسمئة وثلاث وتسعون ابرة .

علينا ان نستعمل الصحيح المألوف ، ونجتنب استعمال الصحيح غير المألوف ، وان اجمع النحاة واللغويون على انه الافصح .

الأرومة والأُرومة (بفتح الهمزة وضمها) ، والأروم (بفتح الهمزة)

ويخطئون من يسمي اصل كـل شيء ومجتمعه : ارومة (بضم الهمزة) ، ويقولون ان الصواب هـو : ارومة (بفتح الهمزة) ، اعتمادا على قول النهاية : [وفي حديث عمير بن افصى : « انا من العرب في ارومة (بفتح الهمزة) بنائها » . وقد تكرر في الحديث] . وعلى قول بشار بن برد :

كرمت أرومته ، واشرق وجهه وصفت خلائقه من الاكدار

وعلى قول ابي الطمحان (شرح الحماسة للمرزوقي صفحة ١٥٩٨) :

فـان بني لأم بـن عمرو أرومة سمت فوق صعب لا تنال مراقيه

وعلى الفاظ ابن السكيت (باب الاصل والكرم) ، والالفاظ الكتابية (باب في كرم المحتد والاصل) ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والتهذيب ، والحريري في المقامة الاسكندرانية ، والمعجم الوسيط . وجميعها فتحت همزة (الأرومة) .

ولكـــن :

اجاز فتح الهمزة وضمها كليهما كل من اللسان والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

وذكر التاج ، والمد ، والمعجم الكبير ان ضم همزة (أرومة) لغة تميمية .

واخطأ اللسان حين قال ان اللغة التميمية هي فتح الهمزة لا ضمها .

واكتفى الاساس بذكر الأرومة (بضم الهمزة) ، واخطأ المعجم الكبير حين نقلها عنه مفتوحة الهمزة .

وهنالك كلمة ثالثة تحمل معنى الأرومة هي : الأروم (بفتح الهمزة) : الصحاح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قال عمير بن شييم القطامي :

بنى لك عامر وبنو كلاب أروما ما يوازنه أروم

بفتح الهمزة .

وتجمع الأرومة (بفتح الهمزة وضمها) على أروم (بضم الهمزة) . قال زهير بن ابي سلمى :

له في الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذي حسب أروم

وقال جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

ومن قيس سما بك فرع نبع على علياء خالدة الأروم

بضم الهمزة في البيتين .

اشترى ازارا جديدا او ازارا جديدة

ويخطئون من يقول : اشترى ازارا جديدة ، ويقولون ان الصواب هو : اشترى ازارا جديدا ، لأن الازار مذكر ، اعتمادا على :

(أ) قول الراغب الاصفهاني في مفرداته : (الازار الذي هو اللباس) .

(ب) وقول الحريري في المقامة الشتوية :

وكم ازار لو ان الدهر أتلفه لجف لبد حثيث السير مضطرب

(جفاف اللبد كناية عن الاقامة والكف عن الارتحال . والسير الحثيث : السريع) .

ولكن :

اجاز تذكير (الازار) وتأنيثه كل من اللحياني ، وأدب الكاتب (في باب ما يذكر ويؤنث) ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (ويؤنث) ، والتاج (ويؤنث) ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قال المعجم الكبير : يؤنث الازار في لغة هذيل . اما قول القاموس والتاج : « ويؤنث » فيعني ان التذكير هو الاعلى والاصل .

والازر (بكسر الهمزة) والمئزر ، والمئزرة (عن اللحياني) ، والازارة ايضا تعني الازار .

ويجمع الازار على :

(١) أزر (بضمتين) : لغة الحجاز ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) وآزرة (بمد فكسر) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٣) وازر (بضم فسكون) : لغة بني تميم ، واللسان (تميمية) ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ومن معاني الازار :

(أ) الملحفة ، وهي اللباس الذي فوق سائر الثياب .

(ب) كل ما واراك وسترك .

(ج) الراي يعلق به في اسفل الكتاب والرسالة ، ويقال له : توقيع .

(د) جر ازاره بطرا : تكبر . وفي الحديث : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا » .

(هـ) شد ازاره : اذا تهيأ للامر واستعد .

(و) باهر عفيف الازار ، وحفظ ازاره : عف .

(ز) حل ازاره : عهر .

(ح) ازار الحائط : ما يلصق به بأسفله للتقوية ، او الصيانة او الزينة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

الاسكيمو

الشعب المغولي السحنة ، الذي يقطن المناطق القطبية وشبه القطبية من امريكا الشمالية ، يطلقون عليه اسم الأسكيمو (بفتح الهمزة) والصواب (بكسرها) ، كما جاء في المعجم الكبير ، والطبعة الثانية من المعجم الوسيط اللذين اصدرهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكما يرى عدنان الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

اما الموسوعة الذهبية فقد ذكرت الاسكيمو دون همزة ، ودون ضبط بالشكل .

والاسكيمو كلمة دخيلة ، وعلينا وضع كل كلمة دخيلة في اطارها الخاص بها ، منعا للفوضى ، لاننا مضطرون الى اقحام كلمات دخيلة كثيرة في لغتنا الخالدة ، وامتنا تقتحم مجاهل العلم والحضارة الحديثة المتطورة اليوم .

قتل العدو المرأة الأسير قتل العدو الأسيرة

ويقولون : قتل العدو المرأة الأسيرة ، والصواب :

(أ) قتل العدو المرأة الأسير .

(ب) او قتل العدو الأسيرة .

لأن فعيلا بمعنى المفعول لا يستوي فيه المذكر والمؤنث الا اذا كان الموصوف غير مذكور .

البابونج (بفتح النون)

هنالك جنس معرب من النباتات العشبية ، من فصيلة المركبات ، يستعمل في الصباغة او التداوي ، يطلقون عليه اسم : البابونج (بكسر النون) ، والصواب هو بفتحها كما يقول التاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والوسيط .

ويقول المد ومحيط المحيط ان اصل الكلمة الفارسي هو : بابونه . ويقول محيط المحيط ايضا : او : بابونك (بفتح النون) .

ويقول التاج ان اسمه في اليمن هو : مؤنس (بكسر النون) .

ويقول ابن البيطار في مفرداته والمد ان عربية هو : الأقحوان (بضم الهمزة) ، او زهر الأقحوان كما يقول المد .

وابن البيطار والمتن لا يضبطان (البابونج) بالشكل .

وقد عثر اقرب الموارد حين قال ان اسمه هو : البابونج (بكسر النون) .

الباذنجان

الباذنجان (بفتح الذال وكسرها) ، الأنب (بفتح النون) ، المغد (بفتح فسكون) ، المغد (بفتحتين) ، الوغد (بفتح فسكون) ، الحدق (بفتحتين) ، الحيصل (وزان فيصل) .

ويطئون من يطلق على النبات ذي الثمر الاسود او الابيض ، والمستطيل او المكور ، اسم الباذنجان (بفتح الذال وكسرها) ، لانها كلمة فارسية معربة ، ويقولون ان الصواب هو الكلمات العربية الآتية :

(١) الأنب (بفتحتين) وواحدته أنبة (بفتحتين) : ابو حنيفة الدينوري ، ومفردات ابن البيطار ، واللسان ، والمصباح (في مادة باذنجان في الهامش) ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) والمغد (بفتح فسكون) : مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٣) والمغد (بفتحتين) : اللسان ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(٤) والحدق (بفتحتين) : ابن الاعرابي ، والازهري ، ومفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) .

(٥) والوغد (بفتح فسكون) : مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقاموس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد (في مادة باذنجان) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٦) والحيصل (بفتح فسكون) : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

ولكن :

ورد ذكر الباذنجان (بكسر الذال) او الباذنجان (بفتحها) ، او كليهما في مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (في مادة أنب ، ومغد ، ووغد ، وحدق ، وحاصل) ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط (في مادة انب) ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

والباذنجان ، وان كان كلمة فارسية معربة ، هو كلمة ورد ذكرها في عدد كبير من المعجمات والمصادر العربية ، ولا يعرف المئة وخمسون مليون عربي — على ما ارجح — اسما سواه .

ولما كانت لدينا مئات من الكلمات المعربة ، التي احياها الاستعمال ، نتفوه بها بدلا من الكلمات العربية التي أماتها الاهمال ، كالخيار بدلا من القثد (بفتح ففتح) ؛ والياسمين بدلا من السجلاط (بكسر فكسر فتضعيف) ، فانني أرى ان نهمل الكلمات العربية ، ونستعمل الكلمات المعربة الدخيلة ، لاننا نأبى ان ننفر الناس من لغتنا العربية المحبوبة ، التي علينا ان نعمل جميعا على ازالة الاشواك القليلة من رياضها الحافلة بالورد الفواح .

الببغـاء

الببغاء (بفتح فسكون) ، والببغاء (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) ، والببغاوات (بفتح فسكون) ، والببغاوات (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) .

ويختلفون في اسم الطائر الناطق وفي جمعه ، وهو طائر من الفصيلة الببغاوية ، يطلق على الذكر والانثى . وهو يتميز بمنقار معقوص ، واربع اصابع في كل رجل ، وله لسان لحمي غليظ ، ومن اشهر اوصافه انه يحاكي كلام الناس .

فالمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط تقول انه الببغاء (بفتح فسكون) .

ويقال ايضا انه الببغاء (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، واحمد شوقي القائل :

يا لـه من ببغاء عقلـه في اذنيـه

وبادجر ، والمتن ، والوسيط .

ويقول اقرب الموارد وبادجر انه الببغاء (بفتح ففتح) ايضا . ويقول محيط المحيط انه يسمى الببغا (بفتح ففتح) والببغاة (بفتح ففتح) ايضا .

ويقول المتن ان كلمة (الببغاء) هندية دخيلة .

وتجمع الببغاء (بفتح فسكون) على ببغاوات (بفتح فسكون) : المصباح ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

وتجمع الببغاء (بفتح فباء مضعفة مفتوحة) على ببغاوات (بفتح فسكون) ايضا : اقرب الموارد والمتن ، بينما يجمعها المد على : ببغاوات (بتضعيف الباء الثانية) ، وهو الجمع القياسي المعقول .

اما الببغا ، والببغاء ، والببغاة (بفتح الباءات كلها) فانني ارى ان تجمع على ببغاوات (بفتح ففتح) ، لانني لم اجد لها جمعا في المعجمات التي لدي .

وتطلق الببغاء على الذكر والانثى ، فنقول : هذا ببغاء ذكر ، وهذه ببغاء انثى .

ويقول الوسيط ان الببغاء (بتضعيف الباء الثانية) الصغيرة تسمى الدرة (بتضعيف الراء) ، ولكن محيط المحيط وبادجر يقولان انها من اقوال العامة .

بتر المصير الأعور

ويخطئون من يقول : بتر الجراح مصيره الأعور (زائدته الدودية) ، ويقولون ان الصواب هو : استأصل المصير او قطعه ، لان الاطراف (الايدي والارجل) هي التي تبتر .

ولكن (البتر) يعني قطع الاطراف وغيرها من الاعضاء والاشياء كما يقول التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والنهاية ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

و (البتر) قد يكون استئصالا ، او قطعا للعمل قبل اتمامه ، كقولنا : بتر فلان حديثه او محاضرته .

وجاء في المتن : بتر رحمه : قطعها (مجاز) .

اما فعله فهو بتر الشيء يبتره (بضم التاء) بترا .

المنامة لا البجامة

جاء في المجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثالثة بتاريخ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٧١ ، في المادة رقم ٢٣ ، ان المؤتمر وافق على ان يطلق على الثوب من قطعتين ، الذي ينام فيه ، اسمه الفرنسي والانكليزي المعرب : البيجامة .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط عام ١٩٧٢ ، ذكر البجامة ، وقال انها كلمة من الدخيل ، وعربيتها (المنامة) ، التي قال عنها انها ثوب ينام فيه .

وقال متن اللغة : « البيجامة : قميص النوم » .

واقترح ان نسميها المنامة او النيم (بكسر النون) في جدوله رقم ٩٢ .

وقال الوسيط ان النيم هو ثوب ينام فيه . وانا ارى ان نكتفي بالمنامة ، لانها كلمة تدل حروفها على وظيفتها .

تبحبح بحبح

ويظنون ان الفعل تبحبح عامي ، وهو فصيح ، ومن معانيه :

(أ) تبحبح فلان : اتسع .

(ب) تبحبح في الشيء : توسع .

(ج) تبحبح الدار : تمكن في المقام والحلول بها .

(د) تبحبح الدار ، وفيها : توسطها .

وممن ذكر الفعل تبحبح : جاء في النهاية لابن الاثير : [وفي حديث خزيمة : « تفطر اللحاء وتبحبح الحياء » اي اتسع الغيث ، وتمكن من الارض] .

وممن ذكر الفعل تبحبح ايضا : الصحاح ، والاساس (تبحبح في الامر : مجاز) ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، ودوزي ، والمتن ، والوسيط .

واكتفى الصحاح والمختار بذكر المصدر (التبحبح) ، دون ان يذكرا فعله . وجاء في مجاز الاساس : « تبحبحت العرب في لغاتها : اتسعت » .

اما الفعل بحبح فمعانيه كالفعل تبحبح .

بحثر ماله لا بحتره

ويقولون : بحتر فلان ماله ، والصواب : بحثره ، اي بدده وفرقه . (راجع الآية التاسعة من سورة العاديات) . وقد قرىء الفعل الثاني فيها بحثر (بضم الباء) بدلا من بعثر (بضم الباء) .

وممن ذكر ايضا بحثر ماله فتبحثر : الفراء ، وتهذيب الالفاظ لابن السكيت (في باب التفرق) ، والازهري (في التهذيب) ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

بح الخطيب

ويقولون : بح (بضم فتضعيف) صوت الخطيب ، والصواب : بح (بفتح الباء) الخطيب ، كما قال ابو عبيدة، والازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانا ارى ان حذف كلمة (صوت) ابلغ ، لان البحة (بضم فتضعيف) لا تكون الا في الصوت ، وان اجاز الاساس لنا ان نقول : فلان أبح (بباء مفتوحة فتضعيف) الصوت .

ونقول : هو أبح (بباء مفتوحة فتضعيف) ، ولا يقال باح (بتضعيف الحاء) ، وهي بحاء (بفتح فتضعيف) وبحة (بفتح فتضعيف) .

اما فعله فهو : بح (بفتح فتضعيف) يبح (بفتح الباء وكسرها وضمها) بحا ، وبححا (بفتحتين) ، وبحاحا (بفتح الباء) ، وبحوحا (بضم الباء) ، وبحاحة (بفتح الباء) ، وبحوحة (بضم الباء) .

محمد العدناني

جغرافيا الرعب

محمد شبلي الذيب

ياطر — لبنان

العالم بركان ثائر ...
في الباطن ، في جوف الارض ،
ينظم دورة غضبته تنظيم المنجذ للجحر ...
يحفر أنفاقا تبلغه انحاء السطح ،
وينفث فيها حمما حمراء
تلون اسفار الزمن .
تنسد منافذ أنفاق الغضبة
ما بين الدورة والدورة ...
... الا نفقا منفذه يفغر متسعا
في قلب جنوبك يا وطني .
ترتعد القطرات البيضاء
على اطراف انامك المبتلة من ماء وضوئك ..
تغدو حمراء ...
تستشهد في فمك الاحرف ...
الا الترتيلة
أنت الواقف في المحراب
وقد يممت الوجه المستبشر
شطر القبلة في مكة والقدس — فتبقى ...
... طفلا مولودا في كفن .

◎

والعالم بركان ثائر ...
في الظاهر ، ما فوق السطح ،
يعدل بعض قذائفه
يجعلها كالصحن الطائر
يرسلها انذارا ابيض
في مرمى قوم ما فتئوا
دون استيعاب حقيقته
ينذرهم قرب عقوبته
ان هم ظلوا في حلمهم
بالشمس تطل بلا ثمن .
والبعض الآخر يجعله
كالغيم الاسود ، ينشره
في عرض جهات الكون الاربع
لكن الريح الشرقية والريح الغربية
كل تدفعه ... وتجمعه
فيخيم فوق الصحراء ...
لكن لا يسقي واحتها
يحتر بوهج الصحراء ...
يغضب ، يرتد لحمرته
يتساقط ثلجا او بردا
يشحذ أنياب التنين
في سفح جنوبك يا وطني

◎



وحيد الدين بهاء الدين

جورج رشوان شاعر انساني مغمور

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

من شعراء المهجر وادبائه ، عرفت جورج صيدح بشعره العبقري وخلقه الرضي . كذلك عرفت جورج حسون معلوف بـ « اقاصيصه » ذات الطابع الفني والوجداني . ومن ثم عرفت جورج كعدي بـ « كعدياته » وبديوانه « الجديد » . اما غير هؤلاء ممن يحملون نفس الاسم والوسم فما عرفتهم ولا الفتهم ، بالرغم من ايثاري الرحلات الدائمات في عالم الادب المهجري : الشمالي والجنوبي ، وصلاتي القائمات بعديد من فرسانه وارباب صولجانه .

في منتصف صيف عام ١٩٧٥ ، وعلى غير انتظار ، ادركتني رسالة من « مسكيتا » بالبرازيل ، ممضاة من شاعر اجهله ، هو جورج يوسف رشوان ، يقول فيها : « خاطبتك دون سابق معرفة وسابق لقاء . بلى انا صديقك وانت صديقي . اما قيل «صديق الى قلبي صديق صديقي». الاستاذ جورج صيدح هو صديقي ايضا دون سابق معرفة ، وهو الذي هداني سواء السبيل اليك . بهذه الكلمة : « اذا كانت لك حاجة في بغداد فاكتب الى صديقي الشهم وحيد الدين بهاء الدين العضو باتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين والمحرر بمجلة « الكتاب » واذكر له اسمي فهو يلبيك » . نعم حاجة اليك ، وهي ان تتفضل بقبول ديواني « انفاس الجراح » الذي طبعته بكل جهد جهيد ولم استعن بدار نشر او بصاحب مال . عسى ان يصل اليك بالسلامة ويحظى بفسحة صغيرة في مكتبتك الكبيرة »(١) .

(١) رددت على هذه الرسالة برسالة نشرت بمجلة « المراحل » . العدد ٢٢٩ السنة ٢٠ ايلول ١٩٧٥ سان باولو / البرازيل .

فاذا بي اقف مبهورا امام هذه الرسالة التي تقطر لطفا وايناسا ، والتي تخجل التواضع .

ان هي الا ايام متداولة ، حتى بلغتني نسخة من ديوان « انفاس الجراح » .

فاذا بي مرة اخرى اقف مبهورا ، امام شاعر من معيار خاص ، ولكنه مغمور منسي ، اقل ما ينبغي ان يقال فيه : انه انسان ، يأخذ طريقه الى عقلك وقلبك ، من غير ان يشق ذلك عليه ، ومن غير ان تعارض انت او تحاول ان تعارض .

تلك هي آية من آيات الانتصار المعنوي .

جورج رشوان هاجر وطنه لبنان الى البرازيل عام ١٩٢٩ ... هناك ذاق مرارة الفقر والضنك تغالظه قسوة الغربة .. تعاطى التجارة ، يباهظه فيها حساب الربح طورا ، والخسارة اطوارا . مع هذا فالتجارة لم تصرفه عن اروع شيء وامتعه الى ذاته ، وهو فن الادب : نظيمه ونثيره .

واليوم يسترد جورج رشوان ، وقد تخطى السبعين ، ذكرياته الدفينات في اغواره ، ويوصلها بخيط واه بالحاضر هذا الغائر الثائر ، منتشلا نفسه الحساسة من اكدارها ، ومرطبا بها مزاجه اللهاب بفعل تقلبات الدنيا المضحكة المبكية :

على شاطىء الايام في الساحل الغربي   وقفت وقد طالت على قعرها دربي
اسائل قلبي عن شبابي ، عن المنى   عن الامس عن معنى حياتي عن حبي
عن الاهل عن عهد لأمي قطعته   ومن لي بأمي وهي في ذمة الرب
فغمغم قلبي حائرا في جوابه ،   وادركت ما يخفي، فقلت له: حسبي
فاعرض عني نافرا متلفتا ،   بعين على قطب وعين على قطب
له الله من شطرين في الشرق واحد   يعيش على الذكرى وآخر في الغرب

هكذا سكن جورج رشوان الى الوحدة في قرية من قرى البرازيل النائية ، منزويا يقضي الباقيات من ايام عمره ، تعلو « انفاسه » وتسفل حسرة ، وتنز « جراحه » وتئز لوعة ، عائشا في شبه عزلة ، زاهدا بكل شيء ، متحاشيا بجسده الناس : نبيههم وسفيههم ، متدانيا اليهم في الوقت عينه بفكره وشعره :

دعوني وحدي في عزلتي   اعالج امري في وحدتي
غريبا ويا لك من غربة   تهون علي بها غربتي
عجمت الحياة بأثقالها   فزادت بأثقالها خفتي
اذا ما الهموم بي استفحلت   أسلت الهموم على ريشتي
هموم يضيق بها عالم   وليست تضيق بها همتي

لقد عرف جورج رشوان نفسه ...

ذلك اعظم ما فيه . بل اعظم ما في الانسان في هذا الوجود . لانه نقطة البداية في رحلة الحياة ، طالت ام قصرت . اما قال سقراط في سحيقات القرون : اعرف نفسك بنفسك !

من اجل هذا كله ، لا يستطيع جورج رشوان ان يجيد لغة المفافرة والمكابرة . كذلك لا يستطيع ان يعلك حديث الاصل والفصل ... فما له وهذا الذي طواه الماضي

وعفى عليه ، وبات مجرد معنى ، لا اثر له ولا غناء فيه ؟ ! بل ما انتفاعه به ، اذا هو لم يصنع وجوده بيده ؟ ولم يكتشف حقيقته الداخلية بارادته ، ولم يحمل مشعل الحرية والجمال في دروب الحياة بقدرته ؟ !

انا ابن يومي فما شاني وايامي ... دفنتها كلها مع كل احلامي
حملت ذاتي في ذاتي فما التفتت ... نفسي لخلفي ولا اهتمت بقدامي
ولا افتخرت بامي لا ولا بابي ... ولا ادعيت باخوالي واعمامي
وان يكونوا ذوي مجد ومكرمة ... واجدر الناس في الدنيا باكرامي

لماذا ؟ ؟

لانه مخلوق من التراب ، واليه عائد عاجلا او آجلا ..

وعلى ماذا ؟ ؟

على التوافه المتلاشية بتلاشي اسبابها ، والاعراض الزائلة بزوال ميقاتها :

سابقى ترابا يجر ترابا ... الى ان اعود الى تربتي

ويقول ايضا :

أهجوت ؟ قلت هجوت ... نفسي كلما راحت تكابر
أفخرت ؟ قلت : وكيف افخر ... هل لطين ان يغافر

من هنا قال بعض المتصوفة : من عرف نفسه فقد عرف ربه .

ومن هنا ايضا نزع جورج رشوان نزعة انسانية الى درجة التوهج ، يقيم ارهاصاتها على الوعي الذاتي والرؤيا الواقعية .

ربما كانت نزعته هذه وراثية عنده ، لكن لا شك ان اسبابا ايجابية اخرى كما سلف ، زادتها عمقا وافقا ، واضفت عليها مضاء ورسوخا .

يسوق جورج رشوان ديوانه « انفاس الجراح » الى « اخيه الانسان في كل مكان وزمان .. » .

اية هدية مزجاة اكرم من هذه الهدية ، واي شعور دفاق امثل من هذا الشعور ؟ ! لا لشيء الا لانه يشارك اخاه الانسان في سرائه وضرائه ، متعاطفا معه ، مبتهجا بما يناله من اسباب النعيم والرخاء ، متألما لما يحيق به من بواعث الارزاء والادواء ..

على انه لا يريد ان يتخلى عن هذا الاحساس الانساني العميق المتبلور الذي يحتويه فيجتويه ، بالرغم من انه تمنى — والتمني رأس مال المفلس — لو لم يكن له قلب ، لكيلا يتعذب ، ويتقلب على جمرات كاويات :

يكلفني ما لا يطاق ولم اكن ... لأسطيعه لو لم يكن ذاك من دأبي
لقد صرت من قلبي على حالة بها ... تمنيت لو اني اعيش بلا قلب

ويقول كذلك :

لك الله يا قلب من صابر ... وليس لصبرك من فرحة
فما حاق بالمرء الا هوان ... فغض على ألم واسكت

والشاعر صادق مع نفسه .. ومع الآخرين ، لانه ذو اباء وكبرياء :

يا صاحبي دعني على جلدي ... في العسر ما في اليسر من رغد
لك لذة في ما وجدت ولي ... في ما وجدت ، وانت لم تجد

ثم يقول :

عسري ويسري اين الفرق بينهما ... هذا القليل كذاك الطافح الطامي
اقول للنفس ان ضاق السرير بها ... هذا الحصير فراش ناعم نامي

لئن اكتنفت شعر جورج رشوان مسحة الزهد والترفع ، وطابع القناعة والانسانية ، فلا ندحة له عن ان يكون مشغولا ذهنه بالآخرين ، مطحونة ذاته بواقعهم الكريه الصارخ بالصراع في سبيل البقاء :

حسبي من العيش ما اقضي به عوزي ... ومن حمياه ما أملا به جامي
فرب فضلة عيش قد طمعت بها ... كانت غذاء لاطفال وايتام
ارضى بقسمي من دهري واجهل ما ... اصاب غيري من حظ واقسام

انها تجربة نفسية محضة ، ولكن من خلالها تتفتق الدلالات الانسانية والمعاني العميقة ، صريحة كاللباب ، واضحة كالشمس ، في لوحة شعرية معبرة :

انت ادخر ما اسطعته فانا ... حسبي من الايام ملء يدي
فلرب زاد فاض عن احد ... في فيضه نقص على احد
عيني صفت هيهات يخدعها ... رهج السراب وزهوة الزبد
قل للذي يسعى الى غده ... هيهات يوما تلتقي بغد

أليس هذا كله خليقا بالتأمل ؟ !

ولنا ان ننظر الى موقفه الاخلاقي الملتزم من اغنياء اغبياء ، يشمخون بأنوفهم ، ويتعالون على عباد الله ، من بؤساء وفقراء ، حيث يرثي لحالهم ويرحمهم ، بينما هو في قراره يحبهم .. فالحب دينه وديدنه :

كم مر بي مثر ولم يرني ... ولكم رآني قبل عن بعد
أترى يظن — ويا لخيبته — ... اني اسير اليه في مدد
ويعيبني سرا فارحمه ... ان لم يكن علنا ففي خلدي
واحبه والحب كان معي ... مذ كنت لم ينقص ولم يزد

تلك ذروة المثل في سلوكية الفرد واصالته .

لان اولئك الناس احوج ما يكونون الى غنى النفس .. فلا يغنيهم ما بنوه لانفسهم من امجاد الثراء والرخاء ، ولانه :

غني على فقر ، فقير على غنى

ولانه يقول :

واذا افتقرت الى السعادة ... سرت من ذاتي لذاتي
حرا فلا ندم على ... ماض ولا طمع بآت

وهل شهدت طمأنينة نفس كتلك ، وراحة بال كهذه ، الا عند الاتقياء والعظماء ؟ ! بينما الحياة من حواليك عصف وقصف ، مد وجزر ، والناس من حواليك ايضا في سجال وجدال ، في تناحر وتهاتر .. ؟ !

ثم يتساءل جورج رشوان ساخرا من اجاهل ، دعاهم الوهم وعمى القلب ، وغرور المجد الزائل ، الى التصور بأنهم من جنس آخر ، ملكوا اي شيء ، وما كانوا الا مسرفين على انفسهم :

من انت يا هذا الكبير ومن انا ... صنوان فرقت الجهالة بيننا
يهنيك عرشك ما الهناء حليفه ... وانا بلا عرش يحالفني الهنا
أحسبت جسمك طينة من عنصر ... كتب البقاء له وجسمي للفنا
خدعوك اذ القوا اليك زمامهم ... وتوهموك مؤمنا ومؤمنا

ويتجاوز جورج رشوان موقفه المتخذ من الانسان تعبيرا عن واقعه ، وتصويرا لامانيه ، وتحقيقا لبعض من حاجاته ، الى اعتداد الناس كلهم اهله او من اهله ، والى اعتداد الدنيا كلها وطنه او كوطنه .

الكهل والبوق

شمر الكهل عن ساعديه وجد في عزم ومضاء
يصوغ من قرن الوعل بوقا قبلما يعدو عليه الفناء
وقال محدثا نفسه : سوف يحمل هذا حكمة الحكماء
الى مشرق الدنيا ومغربها لحظة ألقى فيه النداء
فيعلو في الكون صوتي وتصغى الريح لي أتم اصغاء
فتعلم الام مني ما بناتها ومن هم الابناء
ولن يعجب الصغار حديثي وان هو أعجب الآباء
ويفتح الاخوة أعينهم على خرافة الاخوة والاخاء
ويمضي الافراد فرادى فلا صداقة او اصدقاء
ويصعق الخيرون رعبا اذ يرون جليا هول الجزاء
فلا يكون ساعتها سبيلا لشر او ايذاء
فان وعى المصلحون قولي فما ضاعت حياتي هباء
قال هذا وأشرق بالنور وجهه وبانت عليه علائم الهناء
ولكن .. خفت الصوت وضاع الرجاء
لما انتهت بانتهاء البوق أنفاسه وطارت روحه الى السماء

الاسكندرية — **عبد العزيز جادو**

الا توافقني لو قلت : ان الروح الانسانية الايجابية تتمثل رائعة شامخة ، بل اكثر روعة وشموخا في تضاعيف هذا الموقف الجديد .

انه يأبى الزمان قيدا ، والمكان حدا .. ويرفض الناس غرباء ، ما دام الحب يسقي لحمه ودمه والايمان يختلج في وجدانه وعلى لسانه ، والاطلالة تشحذ نظراته عمقا ووهجا :

الناس اهلي والدنى وطني   انى نزلت نزلت في بلدي
جسدي اذا اتلفت جدته   عوضت من نفسي على جسدي

ويقول في قصيدة اخرى :

انا راية بيضاء   تخفق للرفيع وللوضيع
انا نسمة الحب التي   تذري العبير على الجميع

ويقول في غير ذلك :

لا تسالي ما مذهبي   لن تعرفي .. لا تتعبي
ولم السؤال اما امحى   بالعلم كل تعصب

هذا كله حري بأن يحدو الشاعر على الثورة على الجهل والانانية والتعصب والظلم ، ويدعوه الى مواجهة الصيغ السلبية التي تنخر كالسوس في كيان المجتمع الذي يلعب فيه الانسان اخطر الادوار ، لانه عموده الفقري :

من انت يا هذا ؟ أراك   كأن في برديك ثائر
انا ثائر للحق مخذولا   امام البطل صاغر
انا ثائر للشاة تنهشها   الضواري والكواسر
انا ثورة خرساء في   نفسي تضيق بكل جائر
انا شاعر البيداء   ساقتني اليك يد الاعاصر

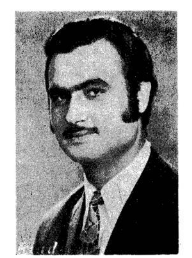
وبنظرة خارقة تختزل المسافات ، وتهتك الحجب ، يدرك جورج رشوان ما سوف يداهم لبنان العربي ، انه يقول ، وماذا يقول :

لكم الله نحن يا شهداء
ضاقت الارض دوننا والسماء
نحن لبنان فامنحونا مقاما
عندكم ، نحن مثلكم شهداء .

اما قلت في ثنايا هذا المقال : ان الشاعر جورج رشوان انسان ، تقوم ارهاصاته على الوعي الذاتي والرؤيا الواقعية .

لعلك تقول معي : بلى .

بغداد — **وحيد الدين بهاء الدين**



فوزي عطوي

القضاء الدولي والاقليمي

في ضوء تطور فكرة المسؤولية الدولية

بقلم فوزي عطوي

* * *

المسؤولية الدولية والقضاء الدولي
محكمة العدل الدولية الدائمة

في مستهل هذا البحث ، لا بد من العودة الى التمييز الذي تلحظه الاتفاقات الدولية الخاصة بحل المنازعات ، ما بين المنازعات السياسية من جهة والمنازعات القضائية من جهة ثانية ، وبالتالي فلا بد من الاشارة الى ان النوع الثاني من المنازعات وحده هو القابل للاحالة على القضاء الدولي ، بينما يبقى النوع الاول الذي يظل ذا مفهوم مطاط ، مما يحمل الدول ، وخاصة تلك التي تتنكر لشرعية القواعد الدولية حين تتعارض مع مصالحها الوطنية ، على صبغ كـل نزاع يقوم بينها وبين غيرها من الدول ، بالصبغة السياسية لا القضائية حتى لا يضطرها قبولها باحالة النزاع الى القضاء الدولي ، للاذعان لحكم هذا القضاء ، خصوصا وانه ليس هنالك قانون يلزم اية دولة الزاما مطلقا بالمثول امام الهيئات القضائية المختصة وبالتالي يبقى لها الحق التام في وصف النزاع الذي يقوم بينها وبين غيرها ، وفقا لما تراه مناسبا لمصلحتها .

وعلى هذا الاساس ، يتسنى لنا الايضاح بأن التحكيم الدولي ، رغم الاتجاهات الفقهية الكثيرة الداعية الى جعله الزاميا ، لم يستطع ان يلعب الدور الفعال في حل النزاعات القضائية على الصورة المرجوة لحفظ السلام العالمي ، والحؤول دون نشوب الحروب التي تصبح ، في حال تعذر العثور على الحل الملائم ، نتيجة منطقية من نتائج النزاعات بين الدول . ولذلك كان لا بد من القيام بخطوة ايجابية جديدة ، في هذا الاتجاه .

وهكذا ، فعلى اثر انقضاء الحرب العالمية الاولى ، استقرت آراء الدول المشتركة عـــام ١٩١٩ في « مؤتمر فرساي » على ضرورة احياء المشروع الآيل الى اقامة سلطة قضائية قادرة على حل النزاعات بين الدول ، فجاءت مقدمة صك « عصبة الامم » منددة بالقوة ، ومزكية اللجوء الى التعقل والقانون لحل هذه المنازعات ، كما تضمن الصك ، في المادة الرابعة عشرة منه ، تكليف مجلس العصبة اعداد مشروع بتأسيس محكمة عدل دولية دائمة تكون مختصة بالبت في اي نزاع دولي الطابع ، يقدم اليها من قبل الاطراف المعنيين ، كما تكون مختصة باصدار الآرا الاستشارية .

وقد شكل مجلس العصبة لهذه الغاية لجنة تض عشرة فقهاء من مختلف الجنسيات والاتجاهات القانونية فاجتمعت اللجنة اعتبارا من ١٥ حزيران حتى نهاية تموز ١٩٢٠ ، واعدت المشروع الذي نوقش في دورات المجلس والجمعية العامة ومن ثم ادخل في متن البروتوكول الصادر بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٢٠ عن العصبة ، وعرف فيم بعد بنظام محكمة العدل الدولية الدائمة .

ولما كنا لا نرى انفسنا في مجال البحث المفصل في ماهية محكمة العدل الدولية الدائمة من حيث جهازها ، وتنظيمها واختصاصاتها ، واصول العمل لديها والدور الطيب الذي ادته على صعيد حل النزاعات الدولية ، بالاسلوب القضائي الودي فاننا نكتفي بالاشارة الى اهم ما تتسم به ماهية تلك المحكمة لكي نخلص بعد ذلك ، الى تبين اهمية قيامها في ضوء تكريس فكرة المسؤولية الدولية :

١ ــ اما جهاز محكمة العدل الدولية الدائمة ، فكان يتألف عام ١٩٢٠ من احد عشر قاضيا واربعة نواب قضاة ثم رفع العدد عام ١٩٢٩ الى خمسة عشر قاضيا واربعة نواب قضاة واخيرا الغيت عـــام ١٩٣٦ مناصب نواب القضاة .

وبالاضافة الى شرط الكفاءة ، كان يشترط في توزيع القضاة ان يمثلوا كافة اشكال الحضارة الانسانية ، ومختلف النظم القانونية الرئيسية في العالم . وقد اتخذ قصر السلام في لاهاي ، بهولانده ، مقرا للمحكمة . لكن هذا المقر انتق

(●) راجع الاديب عدد ديسمبر ١٩٧٧ صفحة ٢٩ .

مرة واحدة الى مدينة جنيف بسويسرا ، عندما اجتاحت الجيوش الالمانية النازية هولاندة . ويروى ان الفوهرر هتلر ، فكر بجعل قصر السلام مقرا لرئاسة اركانه ، لكنه اقلع عن هذه الفكرة في النهاية ، احتراما لمهابة القضاء الدولي(1) .

٢ ــ واما تنظيم المحكمة ، فقد نص النظام الاساسي للمحكمة على ان اجتماعها يتم بكامل هيئتها والنصاب يتم بحضور تسعة قضاة فقط . كما نص نظامها على تشكيل ثلاث غرف هي : غرفة الاجراءات المستعجلة ، غرفة قضايا العمل ، غرفة قضايا المواصلات والترانزيت .

وفي النظام الاساسي ، نصوص تتعلق بالقضاة المتممين وبالعدول والخبراء لكن المجال لا يتسع للمزيد من الحديث عنهم ، فنكتفي بالاشارة الى ان تعيين القاضي المتمم كان امتيازا خاصا ببعض الدول من دون بعضها الآخر ، وان تاريخ المحكمة لم يشهد مثول اي من الخبراء في اي قضية من القضايا التي عرضت عليها .

٣ ــ واما اختصاص المحكمة ، فهو يتفرع الى نوعين نصت عليهما المادة ١٤ من صك عصبة الامم ، وهما : الاختصاص القضائي ، والاختصاص الاستشاري .

لقد كانت الدول وحدها ، سواء انتسبت او لم تنتسب الى العصبة ، هي صاحبة الحق في رفع الدعاوى امام محكمة العدل الدولية الدائمة . لكن ولاية المحكمة كانت تتوقف على توافق ارادة فرقاء النزاع ، بمعنى انه لم يكن في وسع المحكمة ان تبادر من نفسها لوضع اليد على النزاع .

وتتجلى ارادة الدول اما باتفاق بين الدولتين المتنازعتين على رفع الدعوى الى المحكمة ، واما بمعاهدة مسبقة يتفق اطراف النزاع بموجبها على عرض نزاعاتهم القضائية في المستقبل ، على المحكمة ، واما بالموافقة على الاتفاقية المعروفة بالصك العام للتوفيق والحلول القضائية عام ١٩٢٨ ، او بالموافقة على البند الثاني من المادة ٣٦ من نظام المحكمة الاساسي فيما عنى البند الاختياري ونصه :

« للدول التي هي اطراف في هذا النظام الاساسي ان تصرح في اي وقت بانها ، بذات تصريحها هذا ، وبدون حاجة الى اتفاق خاص ، تقر للمحكمة بولايتها الجبرية ، في نظر جميع المنازعات القانونية التي تقوم بينها وبين دولة تقبل الالتزام نفسه ، متى كانت هذه المنازعات القانونية تتعلق بالمسائل الآتية :

١ ــ تفسير معاهدة من المعاهدات .
٢ ــ اية مسألة من مسائل القانون الدولي .
٣ ــ تحقيق واقعة من الوقائع التي اذا ثبتت ، كانت خرقا لالتزام دولي .
٤ ــ نوع التعويض المترتب على خرق التزام دولي ومدى هذا التعويض .

نموذج من الموافقة على الاختصاص الالزامي للمحكمة

وبين ايدينا ، الآن ، نماذج عن تصريحات الدول لقبول الاختصاص الالزامي لمحكمة العدل الدولية ومنها دول : مصر ، السودان ، الولايات المتحدة الاميركية ، فرنسا ، المملكة المتحدة (بريطانيا وايرلنده الشمالية) والصين . واننا نكتفي على سبيل المثال بذكر التصريح الفرنسي بحرفيته :

« باسم حكومة جمهورية فرنسا ، انا الموقع ادناه كوف دي مورفيل وزير الخارجية ، اقبل كملزم حكما ودون حاجة لاي اتفاق خاص ، وفيما يتصل بالاعضاء الآخرين للامم المتحدة الذين يقبلون نفس الالتزام اي بشرط المقابلة بالمثل ، اختصاص المحكمة وفقا للمادة ٣٦ ــ ف ٢ من النظام الاساسي ، ولمدة ثلاث سنوات ، وبعد ذلك حتى يصدر اخطار بالغاء هذا القبول ، في كل المنازعات التي يمكن ان تنشب حول حقائق او وقائع لاحقة لهذا الاعلان باستثناء :

١ ــ المنازعات التي يمكن ان يكون الفرقاء قد اتفقوا او يمكن ان يتفقوا على اللجوء من اجلها الى وسيلة سلمية اخرى .

٢ ــ المنازعات التي تتعلق بمسائل يعتبرها القانون الدولي واقعة ضمن الاختصاص الداخلي لفرنسا .

٣ ــ المنازعات الناشبة عن اي حرب او نزاع دولي ، والمنازعات الناشبة عن معضلة تؤثر في الامن الداخلي او عن تدبير او اجراء متخذ على هذا الاساس .

٤ ــ المنازعات مع دولة لم تكن عند نشوب الواقعة او النزاع قد تبلت اختصاص المحكمة لفترة مساوية على الاقل لتلك المحددة بهذا الاعلان » .

* * *

هذا بالنسبة للاختصاص القضائي . اما الاختصاص الاستشاري ، فقد خول « صك العصبة » المجلس والهيئة العامة فقط حق سؤال المحكمة عن رأيها الاستشاري في الامور التي قد تتراءى لاحدهما ضرورة استفسار المحكمة فيها .

٤ ــ واما اصول العمل لدى المحكمة ، فتشمل المرافعات الخطية ، وبعدها الاجراءات الشفهية التي تقدم وتجرى امام المحكمة ، وبالنتيجة تنسحب المحكمة لتدرس القضية وتصدر حكمها فيها ، مع الاشارة الى انه يحق لدولة ثالثة ان تطلب التدخل في الدعوى اذا كانت تشعر ان قرار المحكمة سيؤثر على مصالحها القانونية ، او اذا كانت طرفا في اتفاقية ، يشكل موضوع الدعوى تفسيرا لها ، كما انه يحق للمحكمة ان تتخذ تدابير احترازية لضمان مصلحة احد الفرقاء ، على ان تعلم مجلس العصبة فورا

---

(1) يراجع الهامش الوارد في الصفحة ٥١ من كتاب القضاء الدولي للدكتورين فؤاد شباط ومحمد عزيز شكري ــ المطبعة الجديدة ــ ١٩٦٦ .

بذلك ، كما يمكن ان تتوقف المحكمة عن النظر في الدعوى اذا توصل الفرقاء الى اتفاق قبل صدور القرار .

وهذا القرار يقرأ في جلسة علنية ، وينشر فورا باللغتين الانكليزية والفرنسية ، وهما اللغتان الرسميتان للمحكمة . والقرار بعد هذا قطعي لا يقبل اي طريق من طرق المراجعة ، لكن يمكن طلب تعديل الحكم اذا ظهرت وقائع جديدة كانت تؤثر على الحكم لو انها اكتشفت قبل صدوره .

وثمة اصول مماثلة تتعلق باختصاص المحكمة الاستشاري . والمحكمة هنا تعتمد في اصدار آرائها وفتاواها ، على المعاهدات الدولية ، والعرف الدولي ، والمبادىء العامة للقانون ، والاحكام القضائية الدولية والداخلية ، وآراء فقهاء القانون الدولي ــ ومبادىء العدل والانصاف ــ اذا اتفق الفرقاء على ذلك . لكن المحكمة لم تلجأ الى المبادىء الاخيرة في اي من الاحكام الصادرة عنها .

والآن نعود الى السؤال الاساسي : الى اي مدى كرست محكمة العدل الدولية الدائمة فاعلية القضاء الدولي، على ضوء فكرة المسؤولية الدولية ؟

محكمة العدل الدولية الدائمة والمسؤولية الدولية

ورد في احدى نشرات « عصبة الامم » ان «اثر المحكمة على تطور القانون الدولي ، مهما يكن محترما ، فهو اثر عارض لا يعادل الاثر المباشر الذي تركته في حل بعض الامور المستعصية بين الدول فيما صدر عنها من احكام وآراء استشارية » .

وهذا الكلام صحيح الى حد بعيد ، فان محكمة العدل الدولية الدائمة اصدرت عددا غير قليل من الآراء والفتاوى فيما عرض عليها من نزاعات وقضايا تهم الدول ، وحسمت بذلك خلافات كانت تقض مضاجع المجتمع الدولي ، لكن الظروف التي احاطت بنشأتها ، والتي رافقتها في عمرها القصير نسبيا ، بالنسبة لقواعد القانون الدولي ، لم تجعلها قادرة على ان تعكس شيئا هاما من ايمان الدول بمسؤولياتها ، بل على العكس ، تلاعبت بالمحكمة اهواء ومصالح ، وفشلتها تيارات وغايات ، بعدما كان الامل كبيرا في ترسيخ قواعد المسؤولية الدولية ، وفي تكريس فعالية القضاء الدولي الذي انتقل بفضلها من غيبيات الاحلام الفقهية الى الواقع العملي الملموس .

ان من المتفق عليه بين غالبية مدوني القانون الدولي وقضاته ، ان اهم ما احرزه العالم المتمدن من خطوات ، في عهد عصبة الامم ، هو انشاء الجهاز القضائي المتمثل في محكمة العدل الدولية الدائمة ، ولكن اذا لم يتسن لتلك المحكمة ان تنجح النجاح المرتقب في استجماع اسباب كمالها ، من حيث الزامية اختصاصها ، وانفاذ احكامها فلانها جاءت صنيعة الدول المجتمعة في فرساي التي لم تكن قد اكتملت عندها بعد (ولم تكتمل حتى الآن) فكرة نبذ السيادة المطلقة للدول ، وتعديلها بالقضاء الجبري الذي يعطي « ما لله وما لقيصر لقيصر »(٢) .

لقد اصدرت المحكمة كما اوضحنا ، احكاما كثيرة ، وآراء استشارية كثيرة فيما عرض عليها من نزاعات وقضايا عالقة بين بعض الدول ، واما في مجال القانون الدولي فمن اهم آراء المحكمة :

١ ــ ان المعاهدة هي ذات اثر قانوني فيما بين الدول الاطراف فيها فحسب ، وفي حال الشك لا يمكن ترتيب حقوق للدول الاخرى فيها ، ولكن يجب ملاحظة انه ليس ثمة ما يمنع بشكل قاطع ــ امكانية استفادة الدول الاخرى من معاهدات لم تكن طرفا فيها(٣) .

٢ ــ ان المعاهدة الدولية لا يمكن بحد ذاتها ان ترتب حقوقا او التزامات مباشرة على الافراد . ولكن ، مما لا شك فيه ان هدف المعاهدة نفسه وفقا لارادة الفرقاء المعنيين ، يمكن ان يكون اقرارا لقواعد محدودة من شأنها ترتيب حقوق والتزامات للافراد ، قابلة للتطبيق من قبل المحاكم الوطنية(٤) .

٣ ــ انه في الوقت الذي لا تسمح فيه المبادىء القانونية المتعارف عليها ان تستند دولة ما على دستور اخرى في دعوى ضدها بل على القانون الدولي والالتزامات الدولية التي تتحملها هذه الدولة ، فلا يمكن للاخيرة ان تستند الى دستورها كيما تتخلص من التزامات مفروضة عليها بموجب القانون الدولي والمعاهدة النافذة(٥) .

وفي اي حال ، فاننا نظلم محكمة العدل الدولية الدائمة اذا قررنا انها قصرت من تلقاء ذاتها ، فيما انتدبت له من مهمة ، على صعيد القضاء الدولي ، ذلك ان الدول التي استحدثت عصبة الامم ، لم تستطع ان تتوصل الى ترسيخ ايمانها بأنها مسؤولة عن تصرفاتها تجاه اشخاص المجتمع الدولي ، الامر الذي مهد لقيام الحرب العالمية الثانية ، فكان ادنى آثار انفراط عقد العصبة هو زوال محكمة العدل الدولية الدائمة ، وان كان المؤتمرون في سان فرنسيسكو قد اجتهدوا بأن « التراث القانوني لمحكمة العدل الدولية الدائمة يجب ان يلعب دورا كبيرا في اجتهاد المحكمة الحديثة » اعني محكمة العدل الدولية الحالية .

فهل نجحت المحكمة الجديدة في المهمة التي لم تستطع ان تكمل المحكمة القديمة شوطها فيها ؟

---

(٢) القضاء الدولي : للدكتورين فؤاد شباط ومحمد عزيز شكري ، ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) منشورات محكمة العدل الدولية الدائمة : قضية سيليزيا العليا عام ١٩٢٥ .

(٤) منشورات المحكمة : الرأي الاستشاري عام ١٩٢٨ حول اختصاصها في دانزيغ .

(٥) منشورات المحكمة : الرأي الاستشاري عام ١٩٢٢ حول معاملة الرعايا البولونيين والاشخاص الآخرين الذين هم من اصل بولوني في دانزيغ.

لئن استطاع المجتمع الدولي ان يقرر نهائيا ، في مؤتمر سان فرنسيسكو الغاء عصبة الامم وقيام « هيئة الامم المتحدة » عوضا عنها ، فان موضوع استمرار محكمة العدل الدولية الدائمة او تعديل نظامها او احلال محكمة جديدة محلها ، قد تعرض لكثير من الاخذ والرد ، الى ان استقر الراي اخيرا على اعلان نهاية محكمة العدل الدولية الدائمة(٦) . وبالتالي انشاء « محكمة العدل الدولية » المستقلة في وجودها عن المحكمة القديمة ، دون ان يكون في هذا الاستقلال ما يؤدي الى انقطاع الصلة الفقهية بين المحكمتين .

ونكتفي ههنا بالاشارة السريعة الى ان جميع الدراسات والمقترحات التي وضعت من جانب جهات دولية مختلفة ، قد انصبت في اتجاه يقول بضرورة قيام محكمة دولية ملحقة بالمنظمة الدولية الجديدة ومن بينها :

١ ــ مشروع وزارة الخارجية الامريكية الذي وضعته لجنة خبراء شكلتها الوزارة المذكورة ، وقد عرف باسم Draft Constitution

٢ ــ مشروع الميثاق الذي اعدته لجنة ثانية شكلتها وزارة الخارجية الامريكية ليكون دستورا للمنظمة الجديدة.

٣ ــ مقترحات اللجنة القانونية لمنظمة الدول الامريكية عام ١٩٤٢(٧) .

٤ ــ تقرير لجنة الحلفاء المشتركة (غير الرسمية) .

٥ ــ مقترحات دومبارتون اوكس عام ١٩٤٤(٨) .

٦ ــ دراسات لجنة الفقهاء في واشنطن (نيسان ١٩٤٥) (٩) .

٧ ــ واخيرا مؤتمر سان فرنسيسكو (١٩٤٥) الذي اقر بصورة عامة آراء لجنة الفقهاء في واشنطن ، وبذلك اصبح الميثاق ونظام المحكمة الاساسي الذي يتبعه ، نافذين اعتبارا من ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٥ .

اما المواد المخصصة للمحكمة في الميثاق فهي المواد (٩٢ ــ ٩٦) التي استغرقت الفصل الرابع عشر واما نظام المحكمة الجديدة الاساسي ، فيتضمن (٧٠) مادة موزعة على خمسة فصول .

ولما كانت المادة (٩٣) من الميثاق قد نصت بصراحة على ان نظام محكمة العدل الدولية مبني على نظام محكمة العدل الدولية الدائمة ، ثم لما كانت صياغة النظام الاساسي للمحكمة الجديدة قد روعي فيها الترتيب والارقام والمواد ذاتها التي كانت في النظام القديم ، فاننا نعتقد اعتقادا جازما ان استعراض جهاز المحكمة الجديدة وتنظيمها واصول العمل لديها ، سيكون تكرارا غير مفيد ، ومن نوافل القول التي لا تضيف جديدا الى موضوع الدراسة .

ويبقى علينا ، في هذه الحال ، ان نؤكد على الدعم الكبير الذي رغبت هيئة الامم المتحدة تقديمه للمحكمة الجديدة ، اذ اعتبرت المادة السابعة من الميثاق ان محكمة العدل الدولية هي احدى هيئات ست تضمها الامم المتحدة ، كما اكدت اللجنة الرابعة المنبثقة عن مؤتمر سان فرنسيسكو ، والتي تولت دراسة نظام المحكمة تصميم الدول المشتركة في المؤتمر على ضرورة استخدام المحكمة لتلعب دورا هاما في الحفاظ على الامن والسلم الدوليين ، وانها كواحدة من الهيئات الرئيسية للمنظمة ، ستتمتع بالتأييد (المعنوي على الاقل) من جانب جميع الاعضاء ، طالما ان نظامها هو جزء لا يتجزأ من ميثاق الامم المتحدة(١٠) . وعلى هذا ، فقد اتجه المجتمع الدولي نحو تكريس الاختصاص الالزامي للمحكمة ، بعدما كان العديد من الدول قد ابدى موافقته على البند الاختياري (المادة ٣٦) الذي سبقت الاشارة اليه ، لدى الحديث على اختصاصات محكمة العدل الدولية الدائمة .

لكن الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ، ايمانا وثيقا منهما بسياسة السمك الكبير والسمك الصغير ، اصرا على موقفهما السلبي بازاء اختصاص المحكمة الالزامي ، بينما ايدته الصين ، كما ايدته بريطانيا ، بتحفظ ، لا بل ان المندوبين الامريكي والسوفياتي الى مؤتمر سان فرنسيسكو اكدا بوضوح تام ان حكومتيهما لا يمكن ان تصدق على النظام الاساسي للمحكمة وبصورة ادق على ميثاق هيئة الامم المتحدة اذا احتوى نصا يفرض اختصاص المحكمة ، فكان بديهيا ان راى « السمك الكبير » ، كان الراي الغالب الذي ابتلع كل آراء « السمك الصغير » في نهاية المطاف . ولم يكن ذلك مستغربا في شيء ، فان للمجتمع الدولي في حق النقض المقرر للدول الكبرى في مجلس الامن ، سابقة لا تحتاج الى توضيح .

ولعل ابلغ ما قيل في وصف الموقف الامريكي والموقف السوفياتي من الاختصاص الالزامي للمحكمة ، كلمة مندوب المكسيك الذي قال :(١١)

« لقد اوضحت الدول الصغرى ثقتها بالدول الكبرى حين وافقت على الصلاحيات الواسعة لمجلس الامن ، حيث القوة الفعلية للاخيرة ، غير انه ليس للدول الكبرى مثل هذه الثقة حين ترفض المبدأ القائل بحل المنازعات القانونية الصرف عن طريق محكمة اثبتت غير مرة نزاهتها وتجردها وتمسكها بقواعد القانون » .

---

(٦) كان ذلك بموجب قرار الجمعية العامة للعصبة بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ .

(٧) في مجلة القانون الدولي الامريكي ، المجلد ٣٧ ــ ص ٢ و ٣ ــ عام ١٩٤٣ يراجع مقال هودسون .

(٨) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ٣ ــ ص ١ .

(٩) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ١٤ ــ ص ٥٢ .

(١٠) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ١٤ ــ ص ٥٢٨ .

(١١) مؤتمر الامم المتحدة للمنظمات الدولية ــ ج ١٤ ــ ص ٢٢٧ .

وفي اي حال ، فان الدول (الموافقة منها على الاختصاص الالزامي والرافضة له على السواء) لجأت غير مرة الى محكمة العدل الدولية باستثناء الاتحاد السوفياتي الذي لم يتبين لنا ، من المراجع التي بين ايدينا ، انه لجأ الى المحكمة على الاطلاق ، بل كان مدعى عليه من قبل الولايات المتحدة (عام ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٨ و ١٩٥٩) لكنه لم يقبل المثول امام المحكمة ، فشطبت الدعاوى المرفوعة ضده ، وكذلك كان موقف هنغاريا (١٩٥٤) وتشيكوسلوفاكيا (١٩٥٥) مما يؤكد لنا مجددا مدى تمسك بعض اشخاص المجتمع الدولي بالسيادة المطلقة التي تتنافى ومفهوم المسؤولية الدولية التي نحاول تبين ملامحها من خلال القضاء الدولي .

ومن الطريف ان نذكر ، في هذه المناسبة ، ان فرنسا رفعت امام المحكمة خلال عشر سنوات (ما بين ١٩٤٩ و ١٩٥٩) ست دعاوى ، كانت اثنتان منها ضد لبنان ، بعدما تبنت دعوى شركة بيروت للكهرباء عام ١٩٥٣ ، وشركة ميناء بيروت وراديو الشرق ، عام ١٩٥٩ ، لكن الدعويين شطبتا فيما بعد ، باتفاق الطرفين ، وهكذا كان كل من الدولتين « يحمل الهوى ، ويخرج منه ، لا عليه ولا له » فتكرست بذلك لغة التسوية ولم يترسخ جذر واحد من جذور المسؤولية الدولية .

على ان السؤال الذي يعنينا في معرض هذا البحث : ماذا يرتب القانون الدولي من احكام لمواجهة الحالة التي ترفض فيها دولة معينة ، وبسبب من الاسباب مبدأ احترام حكم المحكمة ، رغم قبولها بعرض نزاعها عليها ، واعترافها لها باختصاصها في رؤية النزاع ، وفي اصدار حكم بشأنه ؟

الحقيقة ان المادة (٩٤) من ميثاق الامم المتحدة تنص ، بهذا الصدد ، على ما يلي : « اذا امتنع احد المتقاضين في قضية ما عن القيام بما يفرضه عليه حكم تصدره المحكمة ، فللطرف الآخر ان يلجأ الى مجلس الامن . ولهذا المجلس، اذا رأى ضرورة لذلك، ان يقدم توصياته، او ان يصدر قرارا بالتدابير التي يجب اتخاذها لتنفيذ هذا الحكم».

ولا يخفى ما في هذا النص من نقاط ضعف لا سيما في عبارتي « اذا راى ضرورة لذلك » و « يقدم توصياته » فقد ادخلت هاتان العبارتان على النص الاصلي الذي كان مقترحا ، بناء على اعتراضات اثارها كالعادة كل من مندوبي الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي .

وقد حدث فعلا ان تمنعت دولتان عن انفاذ حكم محكمة العدل الدولية هما البانيا وقد رفضت دفع التعويض لبريطانيا عن خسارتها في السفن المتفجرة بفعل الالغام المزروعة في ممر كورفو ، لكن المجلس لم يتخذ قرارا بشأنه بسبب معارضة الاتحاد السوفياتي ، وايران ، وقد رفضت تنفيذ التدابير الاحترازية التي قررتها المحكمة بشأن الدعاوى المتعلقة بشركة الزيت الانكلو — اميركية ، ثم ان المحكمة قررت فعلا عدم اختصاصها في النزاع المذكور(١٢) .

رابعا — المسؤولية الدولية والقضاء الاقليمي

محكمة العدل العربية :

بالاضافة الى قيام محكمة العدل الدولية الدائمة ، ثم محكمة العدل الدولية ، يجدر بنا ان ننوه بقيام عدد من المحاكم الاقليمية الآيلة الى ضمان حقوق الافراد ومنها :

١ — المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان : وقد نصت على انشائها وعلى انشاء « لجنة حقوق الانسان » معها ، الاتفاقية الاوروبية لحماية حقوق الانسان والحريات الاساسية (٤ تشرين الثاني ١٩٥٠) (١٣) .

٢ — المحكمة الاميركية لحماية حقو قالانسان : وقد ذكرت في المادة ٣٤ (البند ب) من الاتفاقية الاميركية لحقوق الانسان التي ما تزال حتى اليوم مشروعا لم يخرج الى حيز التنفيذ بسبب تعذر تصديق سبع دول اميركية عليه وفقا لنص المادة ٨٥ من المشروع .

٣ — محكمة دول اميركا الوسطى لحقوق الانسان : وقد نص عليها في مشروع اتفاقية الدول المذكورة وهي ما تزال ، كالمحكمة الاميركية في حيز المشاريع التي لم تقترن بالنفاذ .

٤ — مشروع محكمة العدل العربية : نص ميثاق جامعة الدول العربية (المادة الخامسة) على انه لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين او اكثر ، من الجامعة . فاذا نشب خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة وسيادتها او سلامة اراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض الخلاف ، كان قراره حينئذ نافذا وملزما .

وفي هذه الحالة لا يكون للدول التي وقع بينها الخلاف ، الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها للتوفيق بينهما ، وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط ، بأغلبية الآراء .

فاذا عطفنا على هذه المادة ، نص المادة السابعة من ميثاق جامعة الدول العربية التي تقول :

« ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة وما يقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزما لمن يقبله .

« وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة ،

---

(١٢) يراجع مقال للدكتور ابراهيم شحاته ، عنوانه « موقف الدول الجديدة من محكمة العدل الدولية » في المجلة المصرية للقانون الدولي ج ٢٠ — ص ٣٧ — ١٩٦٥ .

(١٣) يراجع مقال للدكتور عز الدين فوده ، عنوانه « المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان » في المجلة المصرية للقانون الدولي ملحق ج ١٩ — ص ١٢١ ، ١٩٦٣ .

وفقا لنظمها الاساسية » . استطعنا ان نستنتج الملاحظتين التاليتين :

١ — ان النص الاول ذكر كلا من التحكيم والتوسط والتوفيق ، ولم يذكر القضاء .

٢ — ان النص الثاني يرجح كفـة سيادة الدول الاعضاء واستقلالها ، على فكرة التعاون فيما بينها ، او اقرار مسؤوليتها في الالتزام التضامني بقرارات المجلس .

ولا ريب في ان هذا الواقع يجعل الميثاق منطويا على ثغرات لمسها مجلس الجامعة غير مرة ، الامر الذي دفعه منذ عام ١٩٥٠ الى النظر الجدي في انشاء « محكمة العدل العربية » خصوصا وان المادة ١٩ من الميثاق تنص على ان من بين اسباب تعديل الميثاق انشاء محكمة عدل عربية ، وقد الف المجلس لهذه الغاية ، لجنة ثلاثية بموجب القرار المؤرخ في ١٣ نيسان ١٩٥٠ ، فوضعت مشروعا بذلك ، وما زال مجلس الجامعة ، منذ ذلك التاريخ يرجيء النظر في موضوع المحكمة ، مبررا ذلك بضرورة اتاحة الفرصة امام الدول الاعضاء لتوحيد وجهات نظرها حوله ، قبل عرضه بصيغته النهائية على مجلس الجامعة .

وكان آخر تاريخ لادراج مشروع « محكمة العدل العربية » في جدول اعمال الجامعة ، هـو دورة ايلول ١٩٧٧ ، لكن اي قرار بهذا الشأن لم يتخذ حتى كتابة هذه السطور .

ولا ريب في ان قيام محكمة العدل العربية المنشودة اصبح امرا ملحا ولا سيما في الفترة الاخيرة حيث شهدنا بألم واسف الوانا من المنازعات العربية التي وصلت الى حد الاقتتال الدموي ، وآخرها قتال الحدود بـين مصر وليبيا (١٩٧٧) وفي حال تحقق قيام المحكمة ، فان ذلك يعتبر انسجاما مع احكام المادة ٩٢ من ميثاق هيئة الامم المتحدة التي لـم تحصر بمحكمة العدل الدولية ممارسة القضاء الدولي بـل اعتبرتها الاداة الرئيسية القضائيـة للهيئة ، وافسحت في المجال امام محاكم دولية على الصعيد الاقليمي ، اذ ورد في المادة ٩٥ من الميثاق قوله :

« ليس في هذا الميثاق ما يمنع اعضاء الامم المتحدة من ان يعهدوا بحل ما ينشأ بينهم من خلاف الى محاكم اخرى بمقتضى اتفاقات قائمة من قبل او يمكن ان تعقد بينهم في المستقبل » .

وفضلا عما تقدم ، فان محكمة العدل العربية المقترحة تساعد على قيام قضاء اقليمي متخصص وقادر على حل قضايا ذات طبيعة اقليمية خاصة من حيث الجوهر ، قد يخفى الكثير من جوانبها على اية محكمة دولية اخرى تكون مؤلفة عادة من قضاة ينتمون الى حضارات مختلفة ، والى مفاهيم حقوقية متعددة ومتعارضة في غالب الاحيان .

ولا حاجة بنا الى القول بعد هذا ، بأن قيام محكمة العدل العربية سوف يكون ظاهرة صحية تؤكد مدى ترسخ مفهوم المسؤولية الدولية في وجدان مجموعة الدول العربية ، ومدى ايمانها واحترامها لقواعد القانون الدولي ، ولاحكام القضاء الدولي .

خامسا — مستقبل القضاء الدولي

الحقيقة المرة التي لا بد من الاعتراف بها ، بصراحة تامة ، عندما نشرع في استشفاف مستقبل القضاء الدولي ، ان اسبابا كثيرة حالت الى الآن دون تكريس فعالية ذلك النوع من المحاكم الامر الذي رسخ سيادة الدول على حساب سيادة القوانين الدولية . ومن هذه الاسباب :

١ — كثرة لجوء اعضاء هيئة الامم المتحدة الى محاكم اخرى غير الاداة الرئيسية للقضاء الدولي ، عنيت بهـا محكمة العدل الدولية .

٢ — تردد الدول في تبني قضايا رعاياها ، وفي تحريك مسؤولية الدول الاجنبية ، وذلك حرصا منها على العلاقات الطيبة القائمة بينها وبين تلك الدول .

٣ — عدم قيام محكمة جزائية دولية للنظر في الجرائم الموجهة ضد امن الانسانية وسلامتها وكرامتها .

فمن اجل مزيد من فعالية القضاء الدولي ، لا بد من اخذ المقترحات التي يقول بها فقهاء القانون الدولي بعين الاعتبار ، ومنها :

١ — افساح المجال امام الوكالات والهيئات المتخصصة لرفع الدعاوى امام محكمة العدل الدولية .

٢ — استحداث فروع للمحكمة الدولية في انحاء العالم تكون مختصة على اساس جغرافي ، وتعتبر محكمة العدل الدولية بمثابة المرجع الاستئنافي الذي ينظر في احكام المحاكم الفرعية .

٣ — تشجيع تضامن الدول فيما بينها على انشاء محاكم اقليمية ، اسوة بما ذكرنا بالنسبة لانشاء محكمة العدل العربية العتيدة .

اما بالنسبة لتعزيز دور محكمة العدل الدولية الحالية، وبالتالي تعزيز سيادة القانون الدولي ، وترسيخ الاعتقاد بالمسؤولية الدولية ، فلا بـد من الاخذ بجملة مقترحات يوردها الحقوقيون الدوليون ومنها :

١ — الحصول على اكبر عدد ممكن من قبول الدول الطوعي باختصاص المحكمة الالزامي .

٢ — لجوء الجمعية العامة للامم المتحدة الى المحكمة لطلب الآراء الاستشارية او احالة المتنازعين على المحكمة واعتبار كل خلاف قانونيا الا اذا قررت المحكمة خلاف ذلك .

٣ — تعديل نظام المحكمة بمـا يضمن صراحـة ، للمنظمات الدولية ، حق التقاضي او المثول امام محكمة العدل الدولية ، بصفة مدعى عليها .

٤ — منح الاشخاص حق التقاضي امام المحكمة ضد الدول او ضد المنظمات الدولية .

٥ — تأسيس المحاكم الاقليمية التي تضـم قضاة اقليميين وتطبق القانون الدولي الاقليمي الذي هو اقرب

ان جئت لن استمهلك

يا ظالمي ان لم تكن — بي راحما ، لن أسالك
او غبت لن انساك — او ان جئت لن استمهلك
يا ما دعوت الى الهوى — قلبي الذي لن يمهلك
فاهجر ، تر القلب الذي — اهملته ، لن يعذبك !

ادناك مني يوم ان — ادناك قلب اترعك
ذوب الوفاء ولم يزل — في صبوة ، ما ودعك
فاذكر اذا ما شئت من — ايامنا ما امتعك
واذهب ، ودع قلبي المقيد — فهو لن يمضي معك

ذكر الهوى عطري وافراحي — ومؤنس اضلعي
ألقاه ريان الوفاء — وفي الاسى يبكي معي
أحيا بما استافه — من زهره او ما أعي
من عهده او ما جرى — بعد النوى من ادمعي !

القاهرة — احمد عبد المجيد

الى افئدة الدول من القواعد الدولية العالمية .

٦ ـ انشاء محاكم جزائية دولية او غرف جزائية في المحاكم الاقليمية لمحاكمة من يرتكبون مخالفة او خرقا لاحكام القانون الدولي .

٧ ـ انشاء غرف اقليمية خاصة بالمخالفات والجرائم المتعلقة بحقوق الانسان .

٨ ـ انشاء محكمة لمعالجة الخلافات السياسية الدولية(١٤) .

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة السريعة ، نظن ان من البديهي القول بلا تناهي النزاعات والخصومات الدولية ، وتلك نتيجة طبيعية ومنطقية لتضارب المصالح ، ولتباين الاهداف ولاغترار الدول الكبرى بقواتها وثرواتها ولقلق الدول الصغرى على مصيرها في هذا المحيط الهائج المائج الذي ما يزال المجتمع الدولي يسمح فيه بقيام سياسة السمك الكبير والسمك الصغير ، كما ذكرنا غير مرة .

لكن المهم ان يرتقي الوجدان الانساني في هذا المجتمع الدولي المريض الى مستوى الايمان بلغة العقل والمنطق وسيادة القانون ، لئلا تصبح القيم العلى التي روجت لها كل اديان العالم ، وكل حضاراته واخلاقياته وتشريعاته ، عبارات انشائية براقة اللفظ باهتة المضمون ، او مومياء محنطة تصلح لاروقة متاحف التاريخ .

وفي يقيننا ان كل ما اقترح ، وكل ما سيقترح في المستقبل من اجل ترسيخ فكرة المسؤولية ، وتكريس فعالية القضاء الدولي والاقليمي ، سوف يظل رهين الاقتراح الاهم والقائل بضرورة اعتبار كل نزاع بين الدول نزاعا قانونيا ، الا اذا قررت محكمة العدل الدولية او اية محكمة اقليمية خلاف ذلك وبهذا نقفل الباب امام بهلوانية النزاعات السياسية التي تعرف جيدا كيف تطرح المشكلة ، لكنها تظل اغبى من ان تقدم حلا ملائما للعدالة والمساواة في التعامل بين الدول ، واضعف من ان تعمق في الوجدان العالمي احساسه وايمانه بمسؤولياته وبوجوب اسهامه المضطرد في احترام القضاء الدولي ، وفي ترسيخ قواعد القانون الدولي العام .

فوزي عطوي

(١٤) ورد هذا الاقتراح على لسان الاستاذين كلارك وسوهن في كتابهما : « السلام العالمي عن طريق القانون الدولي » ص ١٧٥ ـ ١٨١ .

بدموعي لا بدمائي

الدكتور سهيل بشروئي

الجامعة الامريكية في بيروت

اذا كانت الدماء حقا غالية
فالدموع اغلى .
الدموع متعلقة بالجسد
متصلة باللحم والدم .
الدموع متعلقة بالروح
متصلة بالجوهر غير المرئي من النفس والذات .
يسيل الدم من كل جزء من الانسان
باحساس او بدون احساس
يسيل الدمع من العين فقط
تدفعه احاسيس عدة ومشاهد جمة
الدماء تلطخ
الدموع تغسل
سفك الدماء جريمة
ذرف الدموع عبادة
الدم مياه اختلطت فيها الاشياء
الدموع ينبوع قدسي طهرت ماؤه
واكتسب نقاوة لا يشوبها شائب
بالدم يشيد الطغاة صروحا
للاستعباد والطغيان
بالدموع يقيم الرسل والانبياء
معابد المحبة والسلام في كل مكان
اذا تحولت الدموع الى دماء
ولد الجسد
ولكن الروح لا يولد
الا اذا تحولت الدماء الى دموع
الكراهية نقطة من الدم ثائرة
في شرايين الشيطان
المحبة دمعة رائقة
في مآقي الازل
ولهذا كله صليت من اجلك مرتين
وأوقدت لك هذا الفجر شمعتين
وذرفت شوقا وتوقا اليك
دمعتين !
لأكتب بالاولى اسمك
وبالثانية اسمي
ولكن الدمعتين اختلطتا
وبدلا من الاسمين اكتبهما
مـد ..... اصبعه
وخط بحروف الدموع اسمه هو
فقرأت ما كتب
وكانت كلمته التي لا تزول
هي « المحبة » ! !

الذي يبقى

بقلم روز غريب



الريح الصحراوية تهب جافة ، عاتية ، فوق الاهرام الرابضة ربوض الازل في صحراء مصر . تنسف الرمال التي تنزلق عن جوانبها لتتراكم على اقدام ابي الهول ، كأنها تريد ان تنسج حوله غشاء يرد عنه عوادي الزمن وتخلده رمزا لخلود العقل .

في منبسط من الارض يمتد بين القاهرة والاهرام ، انتشر الوف من العمال ، المشمري الاثواب حتى الركب ، قد عصبوا رؤوسهم بمناديل تقيهم لذع الشمس واكبوا فوق حجارة يقطعونها او يصقلونها . يهيئونها لترصف في الطريق الجديدة التي تصل القاهرة بالاهرام .

عند منعطف تظلله اشجار النخيل، توقف بضعة عمال ليمسحوا العرق عن جباههم ويتبادلوا الحديث . ومد احدهم يده الى جيبه فأخرج منها علبة تنك محشوة بالتبغ الخشن ، اخذ منه قبضة يحشو بها لفافة يريد تدخينها ، لكنه اعاد العلبة فجأة الى جيبه وعاد هو ورفاقه الى عملهم الشاق . ذلك لان الوكيل المطربش مر بجانبهم ، معقود الحاجبين ، مستعدا لينتهر او ليضرب بالسوط كل من تحدثه نفسه بالتوقف عن العمل ولو لحظة من الزمن .

لكن الرفاق ، رغم هذا ، يجدون فرصة للتهامس بما يجيش في صدورهم من خواطر . لانهم لم يتعودوا ضبط السنتهم عن موضوع يثير اهتمامهم . فاذا ابتعد الوكيل وامنوا شره ، مالوا الى الحديث بأصوات منخفضة وهم يسترقون اللحظ الى ما حولهم .

— جاءت الاوامر بأن نعمل ليل نهار . لان الطريق يجب ان تنتهي في ايام معدودة .

— اربعة ايام ؟

— اربعة او عشرة ... يجب ان نفرغ منها في خلال ستة اسابيع .

— كل هذا بالسخرة ...

— الامير مستعجل جدا . انفق على بناء الطريق الوف الجنيهات التي لم يصلنا منها شيء .

— اتعرفون لماذا هذه السرعة ؟ لان الطريق يجب ان تنتهي قبل موعد فتح قناة السويس ، لكي يمر عليها ملوك الفرنج في طريقهم الى الاهرام .

— نعم . لتمر عليها ملكة الفرنسيس في عربتها الفخمة .

— يقولون انها جميلة جدا .

— وماذا نستفيد نحن ؟ ايسمحون لنا بمشاهدتها ؟

— لم لا ؟ والله سأصعد الى راس الهرم لأراها ...

توقفت الالسن عن الحركة . وانشغلت الايدي بالتقطيع والنحت ، لان الوكيل المطربش عاد من جولته ، منتفخ الصدر ، معقود الحاجبين مستعدا لزجر المتباطئين وضربهم بالسوط اذا اقتضى الامر .

في قصر عابدين كان الخديوي اسماعيل متربعا فوق ديوان مكسو بالحرير ، يدخن غليونا حشاه بالتبغ الفاخر ، يملي اوامره على سكرتيره الخاص الجالس على مقعد الى يمينه .

الامير مستدير الوجه ، مذهل الجسم ، يتكلم وعيناه نصف مغمضتين . قصير اللحية ، يرتدي الملابس الفرنجية ، لا يميزه عن ملوك الفرنج سوى الطربوش التركي القصير الذي يكسو راسه هيبة ونبلا .

— يجب تهيئة القصر الجديد بأسرع وقت لضيافة خمسة آلاف من علية القوم .

— كل هذا جاهز يا مولاي ، اجاب السكرتير .

— والاوبرا التي وضعها فردي ؟

— جاهزة للعرض . الممثلون سيلبسون مجوهرات كلفت عدة ملايين الجنيهات . وستبرز القاهرة بأبهى زينة .

— والطريق الجديدة بين القاهرة والاهرام لمرور العربات ؟

— اصبحت جاهزة كذلك .

— لا تنس ان تضيف تكاليف سفر المدعوين ، ذهابا وايابا ، الى تكاليف اقامتهم .

— ستة آلاف ؟

— ستة آلاف .

— هذا يعني مبالغ طائلة من الجنيهات .

— لا بأس . امامنا فرصة نادرة نظهر فيها للسلطان العثماني ان عزيز مصر يستطيع ان يكون اعظم منه سخاء . اراد اذلالي بلقب متواضع . لقب « خديوي » ، لكني سأفهمه ان العظمة ليست بالالقاب .

في هذه الاثناء كان فردينان دوليسبس ، فاتح قناة السويس ، منشغلا بتفقد القناة التي تقرر تدشينها في صباح السابع عشر من نوفمبر ١٨٦٩ برئاسة الامبراطورة اوجني .

عشية ذلك اليوم شاع الخبر بأن صخرة سقطت في القناة ووقفت حاجزا دون مرور السفن اي دون حفلة التدشين . واكتشف فردينان ان اثنتين من آلات اختبار العمق سقطتا فوق صخور جاثمة في القعر فأصبحتا على مستوى يعرضهما للارتطام بسفن المرور . اذ ذاك بادر الرجل الى تفجير الحواجز بكمية من الديناميت ونجح في اخلاء الطريق للسفن .

كان هذا خاتمة العقبات التي جابهها واستطاع تذليلها طوال خمس عشرة سنة . كافح خلالها لتحقيق

حلمه الكبير الذي قاومته دول اوروبا وعلى رأسها انكلترا . لانها رات في تزعم فرنسا لمشروع دوليسبس دليل انبعاث المطامع الفرنسية التي اوجدت حملة نابوليون بونابرت الى مصر . وقد نجحت انكلترا يومذاك في افشال الحملة وارغام بونابرت على تـرك مصر . فكيف تسمح الآن لابن اخيه بتجديد محاولته ؟

« احفروا قناة السويس تخلقوا ساحة حرب . القناة اخطر من مضيق البوسفور » . هذا ما قاله ارنست رونان الفيلسوف الفرنسي محذرا قادة اوروبا . ومع هذا ، وعلى الرغم من المعاكسات التـي لقيها المشروع ، استطاع دوليسبس ان يكسب تأييد الامير محمد سعيد وخلفه اسماعيل . وتمكن من تأليف شركة بحرية عامة برأس مال ضخم وبمساندة اوجني ووساطتها ، اضاف نابوليون الثالث الى رأسمال الشركة اربعة وثمانين مليون فرنك تعويضا عن الغاء السخرة بأمر السلطان العثماني الذي عارض المشروع . وطالت معارضة السلطان، بتحريض من انكلترا ، مدة ثلاث عشرة سنة . لكنه رضي اخيرا باقرار امتياز الشركة وترك العمل يسير والسخرة تستأنف . وها هو صباح السابع عشر من تشرين الثاني — نوفمبر — ١٨٦٩ ، يطل عليهم حاملا بشائـر النصر والفرح .

بدأ الاشراف والاعيان الذين دعاهم الخديوي ، يتوافدون واحدا بعـد آخر ، وموكبا بعد موكب . دوق سانت البنس الفرنسي ، الامير توفيق ولـي العهد المصري ، امـير ويلز الانكليزي ، وآخرون غيرهم ، جاءوا ليشهدوا هذا الحدث العجيب الذي ادى الى ازدهار مرفأ بور سعيد وقيام مدينة الاسماعيلية ، واجتماع بحرين متباعدين : الاحمر والمتوسط ، وربط ثلاث قارات .

قبل موعد تدشين القناة بيومين ، جرى انضمام البحرين في حفلة ترأسها الخديوي . كانت مياه البحر الاحمر محجوزة وراء سـد قائم في الطرف الاعلى من البحيرات المرة . وكان سد آخر على بعد كيلومتر يمنع مياه المتوسط من التدفق .

وقف فردينان وقال : « منذ خمسة وثلاثين قرنـا تقهقرت ميـاه البحر الاحمر بأمر موسى . واليوم بأمـر حاكم مصر تعود المياه الى وضعها السابق » .

اعطى اسماعيل اشارة فانفتحت السدود وتدفقت مياه البحر الاحمر جارفة في سيلها رمال الشط وما عليها من آلات . فهرع الرجال الى السد الشمالي يدعمونه ويمنعونه من هجوم المياه واكتساحها له . وفي لحظـة التحم البحران واستوت مياههما كبحر واحد .

قبيل اليوم المعين لتدشين القناة ، اخذ المتفرجون يتدفقون من كل حدب وصوب لحضور الحفلة . اتـراك وتتـر . اوكرانيون وبدو . نساء ورجال . عجائز واطفال . الوف من الاوروبيين جاءوا مـن غير دعوة ، فنصبت لهم الخيام ، وحظوا بضيافة اسماعيل ... في منطقة بحيرة التمساح وحدها كان ثلاثون الفا من المتفرجين ، بينهـم خمسة آلاف في القصر الذي شيده اسماعيل لهـذه المناسبة ، وهيأ للضيوف الذين احتلوه خمس مئة من الطهاة والفا من خدم المائدة .

القناة جاهزة لاستقبال الامبراطورة اوجني في يختها : « النسر » ، الذي ستعبر فيه القناة ، لاول مرة ، من جانب لآخر ، مارة بالبحيرات المرة وبحيرة التمساح ، الى بور سعيد .

اكثر من ثمانين مركبا ، معظمها مراكب حربية ، وفي طليعتها مراكب الانكليز ، اجتمعت للقاء الامبراطورة ، ولدى وصولها أطلقت مدافع الفرح والترحيب .

كان الطقس جميلا . الوف الاعلام تخفق فوق رؤوس الجماهير المختلفة الاعراق والازياء .

« لم أر في حياتي منظرا بهـذه الروعة » قالت الامبراطورة .

كـان وراء الخديوي ، امبراطور النمسا وامير هولنده وعدد كبير من الامراء . وقف فردينان بينهم ، يستعد لاستقبال نسيبته اوجني وقلبه يطفح سرورا . اوجني احب شخص اليه ، لا لانها نسيبته ، ونصيرة مشروعه فحسب ، بل لانها امرأة كبيرة القلب، فياضة الشعور . سحرت قلـوب اصدقائها وعارفيها بشخصيتها الفذة. حين مرورها باستانبول في طريقهـا الى مصر ، نجحت بلباقتها في ازالة التوتر الذي ساد علاقة تركيا بمصر ، فأقام لها السلطان حفلة تكريم نادرة المثال ، دلت على التأثير الذي تركته في نفسه تلك المقابلة .

أيمكن ان ينسى فردينان فضلهاعلى مشروع القناة ؟ اينسىانها بذلت لاجله كل ما لديها من نفوذ لدى الامبراطور ؟ كلما فكر هذا في التراجع كانت هي وراءه لتقول : « لا ! ... » لقد كانت هي المحرك لكل خطوة ايجابية خطاها نابوليون الثالث ولولاها لمـا كتـب لمشروع القناة اي نجاح . فمن يكون احق منها بتدشين القناة ؟

بـدت الامبراطـورة بملابسهـا الحريرية المزخرفة وحلاها المتوهجة مثل احدى سلطانات الف ليلة وليلة . لكن الجمال الذي شع مـن وجهها الملائكي وعنقهـا المكشوف وذراعيها البضتين كسف بريق الحلى وروعـة الملابس . فلو لبست ثياب راعية لما كانت اقل فتنة .

— اهنئك يا عزيزي ، قالت اوجني وهـي تعلق الصليب الاحمر لجوقة الشرف على صدر دوليسبس . لقد حققت حلمك الباهر . اصبحت محط انظار العالم . بلغت قمة المجد .

— بملء الفخر اذكر فضلك على المشروع ، قال فردينان .

— ما قمت به لا يستحق الذكر .

— بالعكس . اما انـا فقد كنت منساقا الى عملي بدافع لا يراد .

لحظة عمر

يا لحظة عمر
تحملني فوق شجوني
يا موجة شوق
تدفعني نحو جنوني
لا تدعي العمر يسابقني
لا تدعي الشوق يفارقني
فالعمر شجون وجنون
وأنا مفتون مفتون
وأنا أحيا
والشوق حياة تروبني

يا حلم الامس
يعانقني خلف الايام
يسبقني نحو غدي
لحنا فوق الانغام
أمضي عنه فيعاودني
وأعود اليه يراودني
فالحلم حياة ملك يدي
وصباح يسطع في خلدي
وسواه سراب
اوهام بين الاوهام

لم نشكو ان طال فراق
من بعد لقاء
لم يا دنياي وفي الدنيا
غيم وصفاء
ان جاد القرب بمورده
أسقيه وأشرب من يده
او راح البعد ليطوينا
فالذكرى كأس تحيينا
والحب جمال
يرسمه ظل وضياء

طيف مسحور
جمعنا بالامس نداه
وأفاق الصبح يودعنا
في همس ضياه
أهلا بالامس يجمعنا
أهلا بالصبح يودعنا
والغد ان جاءت نسمته
او ضاع وضاعت بسمته
فالغد أقدار ، اسرار
والحب حياه

جامعة الاسكندرية

لطفي عبد الوهاب يحيي

سيطر علي الحلم واستعبدني ولاجله ضحيت بكل شيء .

ــ لا تندم يا فردينان . لا يستطيع الانسان ان يحقق جميع امانيه . ولا بد من تضحية بعضها في سبيل امنية كبرى .

في المساء ، حين أوى فردينان الى مضجعه . اخذ يراجع في ذهنه قول الامبراطورة. وخطر له السؤال : بماذا ضحت اوجني حين تزوجت الامبراطور ؟ الم يكن بريق المجد الذي استهواها ؟ هل احبت الامبراطور ام احبت العظمة والابهة اللتين طوق بهما رأسها ؟

سعت اوجني وراء المجد ولكن ، هل يدوم المجد ؟

وهتف به صوت آخر من اعماق نفسه : وهل يدوم الحب ؟

لم يمض على تدشين القناة سنة واحدة ، حتى اندلعت نار الحرب بين فرنسا والمانيا. فانهزم نابوليون الثالث في حرب السبعين وانهار عرشه . واضطرت الامبراطورة ان تهرب مستخفية الى انكلترا حيث قضت بقية عمرها منفية ، مجهولة ، كأية امرأة عادية . تجتر ذكريات الماضي وامجاده الضائعة . في وقت واحد فقدت زوجها وعرشها وحبها ومجدها .

وفي منفاها كتبت الى نسيبها دوليسبس تقول :

« فقدت كل شيء . لكن امرا واحدا يمنحني عزاء . هو اني بذلت كل ما امكنني بذله في سبيل مشروع عظيم يحمل الخير والمنفعة للبشرية . هذا وحده الذي يبقى » .

روز غريب

نم ايها الاعصار

◎

نم – ايها الاعصار – قد ارهقتني جسما ونفسا
نم – يا جنون – فانت قد ارهقتني ذهنا وحسا
نم انها نامت .. وعاد رجاؤك المنشود يأسا
نامت والهبت اللظى في القلب يضرم منه جسا
نامت وقد حبست على الذكرى هموم النفس حبسا
قد افرغت كأسي ولما انتش .. فحطمت كأسا
وصحوت فانقشعت أمان عشتها وهما وحدسا
واذا بواقعي المرير اعيشه ادهى واقسى
ما لي وللايام تمشي بي مع الآمال عكسا
ما ان ارى ماء يرويني فتجعل منه يبسا
ضاقت بي الدنيا . فلا عجب اذا ما ضقت نفسا
طفح الاناء ففاض آلاما وحرمانا وبؤسا
ليلي رهيب الظل . لم تطلع به الايام شمسا
أنى اتجهت ارى الهموم بجانبي – مغدى وممسى
فتظل تأكل مهجتي وتعضني نابا وضرسا
الصبر .. هل يجدي وينفع من تصبر او تأسى
وصمدت حتى صرت اقوى من عواصفها وأرسى
أجتر بقيا الذكريات تفيض في دنياي أنسا
واضيعة الانسان حين يضم في جنبيه حسا
يبني فلا تبقي له الايام من مبناه أسا
تجتث ما زرعت يداه فلا تبقي منه غرسا
يا ليته ما كان قد فهم الحياة ولا أحسا
واضيعة العمر الثمين تبيعه الايام بخسا

يا امس .. يا حلمي اللذيذ .. ومن يرد علي أمسا
يا نغمة العيش الهني تلذ في الاسماع جرسا
يا لحظة العمر التي مرت .. ولكن ليس تنسى
يا سحر عينيها . وقد اوحت حديث الحب همسا
لغة العيون وعيتها وحفظتها درسا فدرسا
نظراتها ملئت حنانا زادها طهرا وقدسا
بحر عميق الغور لكني به ألفيت مرسى
ووجدت دربي فيه مفروش الخطى فلا وورسا
حلم رقيق الظل فيه قد لمست السعد لمسا
وقطفت من ثمراته ما طاب لي نبتا وغرسا
تتراقص الآمال من حولي كأني عشت عرسا

بغداد – ص.ب ١٠٣٨ — محمد جواد الغبان



رشيد الذوادي

رضوان ابراهيم كما عرفته

بقلم رشيد الذوادي

★★★

تعودت ان التقي به من خلال دراساته وابحاثه في معظم مجلات الشرق مثل « الاديب » و « الآداب » و « الهلال » و « العربي » و « الموقف الادبي » ثم كان لقائي الثاني معه في تونس وبالتحديد في شهر فيفري ١٩٥٦ ، عندما نشر بمجلة « الندوة » مقاله الشهير « رعاية الادب » الذي حدد فيه مهمة الاديب في الوطن العربي ودوره الواعي المتجدد عبر السنين والايام .

لمست في كتابات هذا الرجل روحا ملتهبة ، وتنويعا ، وايمانا قلبيا يدفعه هدف كبير جعل عقله في خدمته .

تبين لي من خلال هذا الاتصال الفكري « برضوان ابراهيم » انه كاتب مكثار وأديب طلائعي وناقد حصيف .

هو لا يكتب فيما يشتم منه التسلية ، او مـا فيه دغدغة الغرائز وتملق الشهوات ، كما انه لا يجري وراء الكسب المادي ، انه لزاهد في كل ذلك ، ولكنه في مسعاه كان يهدف الى افادة القارىء العربي ، وتوعيته ، وتعريفه بماضي حضارته العربية .. الم يقل في احدى مقالاته : « اصبحت مسؤولية الادب العربي خطيرة الى حد لم يعهد مـن قبل .. فاذا كانت سبيله بالامس التسجيل ، او الترويح .. واذا كان بالامس فن ملحة ودعابة ، او زينة مجلس ونقل شراب .. واذا كان الاديب بالامس مشعوذا ، او مهرجا ، او مرفها ، او ملهاة ملحقة بالركب ، فقد اصبح اليوم دليلا وهاديا وموجها .. لقد تطورت مفاهيم الادب بتطور الوعي ، وعظمت رسالة الاديب بعظم جدية الامور التي نعيش في خضمها اليوم .

وعاد الاديب رائدا للمجتمع ، وموجها للامة ، يوقظها من غمرتها ، ويضع في يدها سلاحها وامام اعينها اهدافها ثم يمنحها الروح والقوة والجلد والصبر ..

لم تعد وظيفته في الامة ان يهدهدها ويغنيها الاغنيات الناعمة حتى تطرب ، او يقص عليها الخرافات الحالمة حتى تنام ..

بل تبعته في هذه الآونة ان ينشدها الانغام الثائرة ، حتى تهب ، وان يصرخ في آذانها حتى تثور على نفسها وعلى معايبها ، وان ينصب لها المشاعل الوهاجة على الطريق حتى لا تضل ولن يقول لها بعد اليوم : نامي ولا تبالي الحياة ، واهجعي هادئـة مطمئنة ودعي الكـون يصطخب من حولك ، فمالك في دنيا الناس من ناقة ولا جمـل .

ولكنه قائل لهـا : اعملي واعملي واعملي ، حتى تسودي .. ان الناس جميعا يعملون ، ومن لا يعمل لا يأكل ولا يعيش ، ومن لا يتقدم في كل لحظة خطوات ، ارتد الى الوراء » ..(١)

وتعددت لقاءاتي بفكر هذا الرائد العربي الواعي ، فاذا بي اتلهف على مقالاته الاخرى في « الندوة » عام ١٩٥٦ خاصة ، « الدراسات الادبية المعاصرة »(٢) و « شعر من نزار قبانـي »(٣) و « المسؤولية الثقافيـة للجامعـة العربية »(٤) .. أيقنت بعد اطلاعي على هذه الدراسات الهادفة القيمة انني كنت في صحبة رجل ليس ككل الناس ، لانه مفكر واع وكاتب اصيل له ملامح فكرية واضحة .. ادركت ان الفقيد رضوان ابراهيم له رسالة .. هو مؤمن بها ، ومتجه اليها ، ومدفوع الى حمايتها .. ويود ان يمضي في الطريق ليكمل المسيرة عن طريق القلم والحرف .

وجمعتني به الصدف ذات يوم بتونس في ايام انعقاد المؤتمر التاسع لادباء العرب (مارس ١٩٧٣) .. كان الوقت مساء والجو منعشا .. حدث هذا بمناسبة حفل

(١) مجلة « الندوة » التونسية س. ٤ ع. ٢ (فيفري ١٩٥٦) .
(٢) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٥ (ماي ١٩٥٦) .
(٣) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٦ (جوان ١٩٥٦) .
(٤) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٤ (افريل ١٩٥٦) .

اقامه « اتحاد الكتاب التونسيين » بنـــزل « افريقيا » ، تكريما للادباء العرب .. قدمني اليه الاديب ابو القاسم محمد كرو قائلا له : « ان الصديق رشيد له كتاب في المطبعة يحمل عنوان « رواد الاصلاح » وسيتحدث فيه عن جماعة من رواد الاصلاح مثل الافغاني ، وعبده ، وبيرم الخامس ، وخير الدين التونسي ، وعبد الحميد بن باديس .. وشد بيديه على يدي .. قال انه يحبذ كتبا من هذا النوع لانه تأثر بحركة المصلحين كثيرا والتهم كل ما كتب حول هذا الموضوع ، كما عاشر الكثير من مريديها وما زال يحن الى الاماكن والاندية التي اعتاد ان يجلس فيها بالقاهرة كل من الافغاني ، وعبده ، وسعد زغلول ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، ومحمد فريد .. وفي اثناء حديثنا عن « العروة الوثقى » قال : « انها البذرة الاولى لمقاومة الاستعمار في شتى مظاهره ، كمـــا حملت على سياسة التغريب والتشويه والتزييف » . كما عرفني ببعض اصدقاء محمد عبده الاوفياء له ونوه به كمفكر واع تحمل المشاق في سبيل مباديه وعن صلاته بالتونسيين التي امتدت منذ زيارته الاولى لتونس فيما بين : (٦ ديسمبر ١٨٨٤ ـــ ٥ جانفي ١٨٨٥) ووعدني بالكتابة حول كتابي هذا حالما يتصل به وفعلا وفى بوعده وكتب فصلا عنه في مجلة « الفكر » عدد ماي ١٩٧٤ ، كما قدم بعض كتبي في برنامجه الاسبوعي الادبي في « اذاعة الكويت » ونشر عنها بعض الكتابات في مجلتـــي « الاديـــب » اللبنانيـــة (ديسمبر ١٩٧٣) و « الصدى » التونسية : (ع ٦٠ : ١٧ جوان ١٩٧٤) .

قضينا حوالي الثلاث ساعات في هذه الجلسة الفكرية الممتعة وامكنني فيها ان اتعرف عليه كشخص ، وكمفكر .. وناقد ، وانسان يحب البشر ويتألم للمتعبين منهم .

هـــو يعمل باحدى هيئات وزارة المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بالقاهرة ، وهو يرأس « رابطة الادب الحديث » بها .. عاش فقيرا وذاق مرارة اليتم ، وانهى تعلمه بالقاهرة واحرز على « الاجازة » في الآداب ، وعلى عدة شهائد عليا : في الادب العربي المعاصر .. وفي اللغة الروسية .. وفي علم النفس .. وفي علوم التربية .

واشتغل بتدريس الادب ، وبتنظيم المكتبات ولـــه تجارب في الشعر الوجداني ، كما الف عدة كتب منها :

أ) مجموعة من « قصص الاطفال » .

ب) مجموعة قصص « جراح شعب » .

ج) وكتبا تحمل عناوين :

«ازمة التعبير الادبي» و «شعراء العرب المعاصرون» و « تيسير مقدمة ابن خلدون » .

د) وترجم عن اللغة الروسية عدة مؤلفات هامة منها كتاب عن « الادب التونسي » و « نظريات ابن خلدون » المطبوع بتونس عن (دار المغرب العربي) للمستشرقة الروسية « سفيتلانا باتسيفيا » ، استاذة اللغات الشرقية بجامعة لينينجراد والتي يعود لها الفضل في التعريف بابن خلدون في الاتحاد السوفياتي كمفكر عربي تتلمذت عليه واعتمدت على نظرياته في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ .

ومن خلال حديثي معه تبينت ان الرجل لا يحب الحديث عن نفسه ، لكنني احرجته باسئلتي وافتككت منه هـــذه المعلومات التي تبرز عصامية الرجل وجهاده الادبي وما اسهم به في تغذية الفكر العربي في معظم مجالات الادب بالوطن العربي واذاعاته خاصة في مذاييع « القاهرة » و «صوت العرب» و «الكويت» و «دمشق» و «العراق» و « الدوحة » و « الجزائر » .

وتعددت اتصالاتي بهذا المفكر عن طريق المراسلة المستمرة او عند زيارتي له في القاهرة في صائفة ١٩٧٤ .. ادركت من خلال هذه الصداقة ان هذا المفكر العصامي ، الذي كافح الفقر والمظالم ، وهزأ بالاتعاب وتحدى الصعاب ، لو اراد ان يلعب بالذهب لاستطاع ، ولكنه فضل العيش الشريف .. فضل ان يعيش صوفي الروح يخدم امته ، ويناضل في سبيل اصالتها بما استطاع .

ادركت انه يحمل في نفسه املا كبيرا لذلك سارع باقتحام الصعاب حتى لا يتعثر الشباب فيها او تكون حائلا بينه وبين مسار الامة الطبيعي وضياء المنار الخالد الذي اقامه الاجداد طيلة اربعة عشر قرنا .

عاش الاستاذ رضوان ابراهيم طيلة حياته يكتب ..

كتب في تمجيد اللغة العربية وثقافتها ، واشاد بالنضال العربي ، وبشر بالوحدة ، وتغنى بالبطولات ، وباهى بالمواهب الشابة ، ودافع بقلمه عن قضايانا المصيرية ، وخاصة قضية فلسطين ، وازمة المثقف العربي ، واشكال الشعر والقصة . ومن ايادي رضوان ابراهيم على تونس انه اخلص اليها .. امد مجلاتها وصحفها « كالندوة » و « الفكر » و « الصباح » و « الصدى » و « الثقافة » بعديد البحوث طيلة عشرين عاما ، كما قدم الكثير من المؤلفات التونسية عن طريق « اذاعة الكويت » مثل : « السد » و « حصاد قلم » و « دراسات » و « ادباء تونسيون » و « التوت المر » و « اعلام من بنزرت » و « الشعر التونسي المعاصر » .

وقد راسلني منذ بضعة اشهر طالبا مني ان امده ببعض القصائد الشعرية للاساتذة : الهادي العبيدي ، ونور الدين صمود ، ومحمد العروسي المطوي ، واحمد القديدي ومحمد صالح الجابري ، والهادي المدني ، وعبد العزيز قاسم ، والطاهر الحداد ، وسعيد ابو بكر ، والشاذلي خزنه دار .. وفعلا انجزت طلبه وكانت آخر رسالة مني اليه منذ شهر تقريبا راسلني على اثرها شاكرا ومعلما بأن له دراسة عن « الشعر التونسي وتياراته » .

بمثل هذه الاعمال الادبية الجادة كان الاستاذ رضوان ابراهيم يعبر عن حبه لتونس ولثقافتها وفكرها وادبائها .. وعنده ان الكتابة الاصيلة هي من انفس الفنون ، وان الشعر الجيد سيبقى غذاء للروح ما دام للناس عواطف ومشاعر واحاسيس ، وان الفن الادبي الرائق سيظل الى الابد متعة للاذهان وبهجة للقلوب رغم تفوق الروح العلمية .

ومن آرائه : انه لا بد ان نكون حذرين من الدعوات الهدامة المدمرة التي تريد ان تقطع صلاتنا بتراثنا وبماضينا الحافل بالمآثر ، كما كان يوصي الكتاب بالشجاعة ، وطالبهم بالفناء في سبيل المبدا والعقيدة ، ودعاهم الى الالتزام لكن دون الخروج عن المتعة الفنية الجمالية ، اذ لا استغناء عن اي واحد منهما ، فهو يقول في هذا الشأن :

« ولا تعارض بين ان يكون الادب لنفسه وبين ان يكون للمجتمع ، فانه لا يحمل الى المجتمع شيئا ذا قيمة ما لم يكن ادبا ذا قيمة يرضي الذوق المرهف والحاسة الجمالية ثم يطلقها متفجرة تنير سبيل الحرية ، وتنسف العوائق ، وتسير بالانسان الى هدف نبيل »(٥) .

ومن دعواته انه الح على تواجد مقاييس وانماط جديدة في النقد الادبي لان النقاد العرب لم تكن لهم وجهة علمية مدروسة او فلسفة واضحة فيما يكتبون من آراء نقدية ، طالبهم بامعان النظر في الاثر المنقود حتى لا تنمو وسائل الهدم والتدمير ، كما اوصاهم بعدم القسوة ، لان القسوة جارحة وقد تثني العزائم عن الانتاج ، كما دعا الى التراجع في الاحكام حتى لا يمتد الطريق الشائك امام المنحرفين .

وهو يرى ان الكاتب الصادق المؤمن المسؤول يجب الا ينحاز الى راي او الى مبدأ او شخص ، لان ذلك يفقد العمل الادبي قيمته في راي الحق والتاريخ(٦) .

هو يطالب الكتاب دائما بالتزام الصدق والحق فيما يكتبون .. يناديهم بالدقة ، ويتجنب السرعة والتزييف .. يؤكد في هذا الشأن :

« لا بد من العدالة ، وتسليط اضواء الضمير ووزن مصير الاحكام امام التاريخ يوم ينصب لهذه الاقلام موازينه العادلة »(٧) .

هذه بعض آرائه تجدها في مقالاته ويحدثك عنها بلهجة رصينة هادئة وبروح انسانية رقيقة فتحس بسر اللمسات الرائعة في حديثه وكتابته .. تلاحظ في نبرات صوته وفي تعابيره ان الرجل يحمل ملامح واضحة .. في الفكر .. في الجهاد .. في الكتابة .. في المزج بين مختلف التيارات الفكرية المعاصرة .. في الهدف الاكبر .. هدف الكاتب الاصيل الواعي والرجولة الحق .

ورغم مظهره المتواضع ولين طبعه ، تشعر اذا ما خلوت الى « رضوان ابراهيم » او تجاذبت معه اطراف الحديث انك امام رجل خير بطبعه قد آمن برسالة وتعذب طويلا في سبيل حملها وتبليغها .

لقد كون شخصيته مرحلة مرحلة ليصبح كاتبا مسؤولا يضيء الدروب ، ويدفع المواهب ، ويغذي المشاعر .. رفض « رضوان ابراهيم » الادب المحنط الذي يزيد في تخدير الشعوب واذلالها ، وترفع عن الكسب المادي ، وعن الرتب والالقاب الوهمية وظل يعمل قرابة نصف قرن من اجل تعميق المثل العليا وتوضيح الفكر الاصيل ، الملهب للاحاسيس والعواطف .. الهادف الى توعية الاجيال وخلق الرجولة فيها .

فتحية اليك ايها الصديق الاعز .. وليتقبلك الله برحمته وغفرانه وليجزيك خير الجزاء .

بنزرت — تونس

رشيد الذوادي

(٥) مجلة « الندوة » س. ٤ ع. ٥ (ماي ١٩٥٦) ص. ٢٩٩ .

(٦) المرجع السابق . (٧) نفس المصدر .



البدوي الملثم يعقوب العودات

البدوي الملثم في رسائله

بقلم عيسى فتوح

* * *

... « اما الدراسة التي تراودك عني ... فمع شكرك على هذه العاطفة، فانا انسان أمقت الاضواء العامة، وأؤثر العزلة والانطواء هربا من الناس، حتى انني قلت لقرينتي: « عند موتي افضل الا يسير في نعشي الا افراد العائلة وبعض الاخوان، وحذار ان تقيمي لي مأتما وعويلا ... اما حفلة التأبين فانني أمقتها وانا تحت اطباق الثرى! ... ان لي فلسفة خاصة قد لا يرضى عنها الكثيرون ممن نعايشهم، وهذه الفلسفة ستكون زادي في العالم الثاني » . من رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٩/٥ .

كانت صلتي بالمرحوم البدوي الملثم، صلة القارىء المتتبع المتقصي، بالاديب المنتج الثر، يعطي بلا حساب. واذكر انني قرأت له، اول ما قرأت، كتابه عن « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته » ثم كتاب « شاعر الطيارة ــ فوزي المعلوف » فأعجبت بهما ايما اعجاب، وان كانت صفة الجمع هي الغالبة عليهما، وتمنيت لو اتيحت لي مراسلته. لأبثه تقديري ... وانطوت الايام، حتى كان عام ١٩٦٧، اذ تعرفت بالاديب والكاتب المسرحي الاب اسطفان سالم(١) في اللاذقية التي نقلت اليها لتدريس مادة اللغة العربية في مدارسها الثانوية، وتوثقت عرى الصداقة بيننا يوما بعد يوم، حتى لا يكاد يمر يوم لا نلتقي فيه ونتحدث في الادب وشؤونه، والموسيقى التي يعتبر من اساطينها تأليفا وتلحينا وعزفا من الطراز الاول على آلتي الارغن والبيانو. وذات يوم اطلعني على ما كتبه عنه البدوي الملثم في مجلة « الاديب » تحت عنوان « اعلام الفكر والادب في فلسطين » الا ان الترجمة التي وضعها له كانت مقتضبة جدا.

ابديت للأب سالم رغبتي في التعرف على هذا « البدوي الملثم » بعد ان قرأت له اكثر من كتاب واحد، فدفع الي بعنوانه في عمان، وفعلا كتبت له اول رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٤/٢٠ فأجابني قائلا:

« سرني ان اتلقى رسالتك الانيقة المؤرخة في ٢٠ الجاري، وقد حز في نفسي ان احرم لقاءك في حلب الشهباء، عندما قصدتها في عيد الاضحى الفارط لأعود صديقي الاستاذ فتح‌الله الصقال بمناسبة مرضه.

وعلى ذكر هذا الصديق النبيل شرعت بعد ايابي من زيارته في التخطيط لدراسة بقلمي، ينوي اخ الطرفين الاستاذ عبدالله يوركي حلاق اخراجها في عدد خاص من مجلة « الضاد »، وعلى كل ابق هذا النبأ مكتوما، ولا تكتب به للعزيز عبدالله » .

قلت ان ما كتبه عن الاب سالم في مجلة الاديب كان مقتضبا جدا، وعندما ألحت لـه بذلك كتب لي يقول: « سرني ان تكون ذا صلة بالاديب الاب اسطفان سالم، وجوابا عن ملحوظتك، فاني ارحب بفصل واف عن سيادته، اذا ما تعاونتما على اعداده، ولأثبته في احد الجزءين المنوي ايداعهما احد مطابع بيروت الكبرى.

وزيادة في الايضاح اعلمك بأن موسوعتي التاريخية المصورة « اعلام الفكر والادب في فلسطين » ستجيء في اربعة اجزاء متتالية، وفي الوقت الحاضر لدي مادة للجزءين الاول والثاني » .

لقد احب المرحوم البدوي الملثم مجلة الاديب وصاحبها الاستاذ البير اديب محبة جمة خالصة، ولذلك كان يعمل لدعم هذه المجلة ماديا ومعنويا وادبيا بشتى الطرق، وهو الذي سعى ــ مع نخبة من اصدقائه في الاردن ــ لتأليف لجنة اطلقت على نفسها « لجنة يوبيل الاديب » بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيسها، قامت بجمع المساعدات لها عندما كانت تجتاز اقسى محنة مادية،

(١) اصله من بلدة الناصرة في فلسطين، وكان مديرا عاما لثانوية الارض المقدسة في اللاذقية .

هددتها بالتوقف . ولا اغالي اذا قلت ان مجلة الاديب كانت شغله الشاغل ، وموضع اهتمامه الاول . كتب لي يقول :

« من فضل الله ان تجيء حصيلة التبرعات التي قدمناها لمجلة « الاديب » بمناسبة مرور ٢٥ سنة على صدورها دسمة ، واود من سيادة الاب سالم ومنك مناصرة هذه المجلة الراقية وتزويدها بمشتركين افاضل يقدرون الادب ، فيدفعون بـدل الاشتراك دون تذكير وتكرير ... ومتى وجدتما فئة قليلة من هذا النوع المثالي فاكتبا مشكورين للاستاذ البير اديب وعنوانه كـذا ... وابلغاه اعطر سلامي .

واخيرا من حقي عليك ان اذكرك بالفصول الطلية التي يسخو بها قلمك ، واقترح عليك حزمها في كتاب تزفه للخزانة العربية ، ختاما اشكرك على دعوتك وارجو ان يتاح لنا اللقاء ، ولا تنس قدس الاب سالم ، والصديق القديم الاستاذ توفيق نديم هارون في اللاذقية من سلاماتي ، والله أسأل ان يحفظك لمحبك » . يعقوب العودات

كان رحمه الله لا يفتأ يذكرني بقضية مجلة الاديب وضرورة الاهتمام بها في اللاذقية ، لذلك عاد في رسالته المؤرخة في ١٩٦٧/٥/٩ ليحثني مرة اخرى على العمل من اجلها . وفي نهاية الرسالة ينقل لي بعض انباء موسوعته « اعلام الفكر والادب في فلسطين » وأنباء صديقه معالي الاستاذ فتحالله الصقال في حلب :

« اخي الاستاذ عيسى فتوح دمت بخير

سعدت هذا الصباح برسالتك المؤرخة في ٢ الجاري . وردا عليها :

١ ــ اشكرك على تطوعك لخدمة « الاديب » والمهم يا اخي ليس « الكم » بل « الكيف » فخمسة من المشتركين الذين يحترمون انفسهم ويؤدون ما عليهم ، خير من خمسين مشتركا بهلوانيا المهم في نظري نوعية المشتركين لا كثرتهم . ولعل الاب الفاضل اسطفان سالم يولي هـذه الناحية اهتمامه ، فأهل مكة ادرى بشعابها .

٢ ــ العمل الموسوعي الذي انشر بعض فصوله على صفحات مجلة « الاديب » عمل خططت له تخطيطا علميا هجائيا ، فكيف انسى الاديب الاستاذ نصري الجوزي(٢) لقد بعثت بالفصل الخاص به الى قلم تحرير « الاديب » برسم النشر .

٣ ــ تشير الرسالة التي تلقيتها قبل ايام من قرينة معالي الاستاذ فتحالله الصقال الى خروجه بنزهة حول مدينة حلب بالسيارة ، وعزمه على قضاء اشهر الصيف في اوروبا للعلاج والاستجمام .

٤ ــ الاستاذ يوسف عبد الاحد هاتفني قبل مدة من عمان واكد لي قرب زيارتي في المنزل ، فرحبت به ، ولم اشعره بأنني طريح الفراش منذ ايابي من حلب ، وحتي هذه الساعة لم يتصل بي يوسف ، ولا ادري اعاد الى دمشق ام انه في ربوع الاردن .

اقف عند هذا الحد ، وارجو حمل سلامي الى الاب الفاضل سالم ، والى الصديق القديم هارون ، ولك مني خالص الشكر ، وموفور المودة ، المخلص » . يعقوب العودات .

في ١٩٦٧/٥/١٢ رزقت بأول مولودة اسميتها « لينا » فكتبت له أزفه النبأ فأجابني بتاريخ ١٩٦٧/٦/٣ يقول :

اخي الكريم « ابا لينا »

« ألف مبروك اطلالة « لينا » وارجح تكون هذه اول رسالة تتلقاها بكنيتك ومناداتك « بأبي لينا » ، متعها الله بالسعادة في ظلك وظل السيدة والدتها ، واراها أفراحا من اخوتها ، وأطال في عمرك للاسرة السعيدة .

سرني ان تتسلم نسخة كتابي « شكري شعشاعة » ، وقد تطوع الاخ يوسف عبد الاحد بايصالها اليك ، وهو في طريق عودته الى مقر عمله . امس فرغت من كتابي : « فتحالله الصقال الرائد الانساني الكبير » ، ومن فوري كتبت للأخ الاستاذ عبدالله يوركي حلاق ليعلمني باللازم حول موافاته بالكتاب في هذه الظروف ، او التماهل في ذلك .

تلقيت الساعة رسالة من الصديق وديع فلسطين ، وفيها يعلمني بأنه قرا في جريدة نعي الصديقين العزيزين نصر سمعان الشاعر المهجري ، ويوسف اليازجي ، احد مفاخر

(٢) كنت قد ذكرت له في رسالتي ان هذا الاديب يعيش في دمشق بعد نكبة ١٩٤٨ ، وفعلا كتب عنه في الاديب .

العروبة في المهجر . لقد بكيت هذين الاخوين الحميمين اللذين عرفت فيهما المروءة وسراوة المحتد .

اشكرك على الجهد الذي بذلته في سبيل « الاديب » ودعمها بالمادة ، ولعل الاب اسطفان سالم يكون عونا لك في هذا المضمار القومي ، وعلى ذكر الاب سالم ماذا فعلتما بالفصل المتعلق به والمنوي « تهويته » وزيادته . اكتفي بهذا القدر ، واكرر تهاني بريحانة القلوب « لينا » وارجو للأخ النبيل ولفيف الاسرة دوام الصحة والسعادة » . يعقوب العودات

بين رسالتيه المؤرختين في ٦٧/٦/٣ و ٦٧/٧/١٧ حدثت نكسة الخامس من حزيران ، وما رافقها من اهوال ، وكنت قد اخبرته ان لي اخوين طبيبين اشتركا فيها : الاول في الجبهة الاردنية ، والثاني على خط النار في الجبهة السورية ، وسلما بحمد الله بعد ان اشيع ان الاول — وهو طبيب عيون — اسر في اسرائيل ، ولكنه عاد ولم يحدث شيء من هذا ، فكتب لي والالم يعصر قلبه على خسارة العرب عامة ، وخسارة مجلة الاديب خاصة ، قائلا :

الاخ أبا لينا

« تلقيت الساعة رسالتك الرقيقة المؤرخة في ٣ الجاري فبادرت الى الرد عليها وانا في حيرة من بدئها واختتامها ! احمد الله على سلامة شقيقيك ، ولو شاهدت الاهوال التي عاشها هذا البلد لقدرت مداها ، ولصورت بقلمك الهلع الذي انتاب الناس العزل ، ولرأيت ما فعلته مدنية القرن العشرين من بربرية وحرق وترويع ! رحم الله فوزي المعلوف القائل :

ليت عمرانه تأخر اجيا   لا فكل البلاء في عمرانه !

سنظل يا اخي نعيش في دوامة القلق حتى يسود الحق الباطل ، ويعود الى اهله .

الخسارة التي المت بمجلة الاديب من جراء تهويد القطاع العربي الفلسطيني تقدر بـ ٣٦٠٠ ليرة سورية ، ولا ادري كيف السبيل الى التعويض على الاستاذ البير ، واذ اشكرك على دعمك هذه المجلة الراقية ، ارجو من الاديب الجليل الاب اسطفان سالم ان يولي هذه المحنة التي اصابت « الاديب » اهتماما خاصا ، وان تتفضل بدورك بتهوية(٣) الفصل الخاص بسيادته وتوافيني به على عجل .

قبل ايام وافيت الاخ الاستاذ عبدالله حلاق بكتابي المخطوط « فتح الله الصقال الرائد الانساني الكبير » وبعد ان تناهى خبره لمعالي الاستاذ الصقال طير لي البرقية التالية « اطلعت على مؤلفكم الرائع عني ، فأثر في نفسي تأثيرا بليغا اراق مدامعي ، وأثار اعجابي بوفائكم المكين الصادق ، فبكل مشاعر محبتي وتقديري ، اشكر لكم اجزل الشكر ، وارجو من المولى ان يكافئكم عني وعن الادب والتاريخ والصداقة الحقة ، وان يديمكم واسرتكم الغالية . وبمناسبة سفري الى سويسرا لمتابعة معالجتي استودعكم الله وأبثكم اطيب التحيات والاشواق .

اكتفي بهذا القدر ، وارجو ابلاغ القرينة تحيات ام خالد وسلامي مشفوعا بلثمي وجنتي « لينا » ريحانة القلوب » . يعقوب العودات

لم تكن لتفوت المرحوم يعقوب العودات مناسبة دون ان يجيل قلمه فيها من ولادة ، او موت ، او تنصير الخ . . . ولذلك كتب لي بعد ان جرت حفلة تنصير ابنتي الكبرى يقول : « اخي أبا لينا

تحيات من قلب وبعد ، اليوم اطلت علي رسالتك الانيقة المؤرخة في ١٩٦٧/٩/١١ فقابلت اخبارها بالغبطة ، وبادرت الى التبريك بتنصير ريحانة القلوب « لينا » متمنيا لها العمر الطويل في ظلال والديها العزيزين » ثم يخبرني عن زيارته دمشق والتقائه بصديقه القديم يوسف الصارمي :

قضت ظروف قاهرة بسفري الى دمشق وبيروت لأعود في الاولى صديق الاغتراب الاستاذ يوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » التي كانت تصدر في « بونس ايرس » وابن « صلنفه »(٤) الذي عاد قبل عامين الى دمشق واستقر فيها مع افراد اسرته واصيب بفالج نصفي . ونظرا لما اكنه لهذا المغترب الاديب من ود واحترام قررت السفر الى دمشق ظهر ١٩٦٧/٨/٢١ لزيارة هذا الاخ الغالي بعد غياب ١٥ عاما . وكم اتمنى لو عرفت هذا الانسان(٥) الطيب القلب عن كثب ! ، وهذه الظروف نفسها تقضي باستئناف السفر الى بيروت لأعود صديقي معالي الاستاذ فتح الله الصقال ، اذ تناهى الي انه عندما عاد من « جنيف » الى مطار بيروت ، زلت به قدم فأصيبت ساقه بشظي حمله على دخول المستشفى ، لهذا عولت على السفر لبيروت لأعود معاليه .

وتدل رسائل الاخ الاستاذ عبدالله يوركي حلاق على ان مطابع « الضاد » انجزت طبع نصف كتابي « فتح الله الصقال : الرائد الانساني الكبير » وفي نهاية ايلول الجاري ستفرغ من طباعته وتجليده » .

ان القاسم المشترك الاعظم لرسائل المرحوم البدوي الملثم كان مجلة الاديب التي ظل حتى اللحظات الاخيرة من

---

(٣) قمت فعلا بـ « تهوية » الفصل الذي كتبه عنه وارسلته له ، لكنه لم ينشر ، ولعله ما يزال محفوظا بين اوراقه المخطوطة وقد اكد لي وصوله في آخر رسالة كتبها لي .

(٤) يريد ان يقول « كفرجوايا » مسقط رأس الصارمي وهي قرية من قرى صافيتا .

(٥) الواقع انني كنت اعرف هذا الاديب قبل رسالته ، وقد كتبت عنه مرتين في مجلتي « المعرفة » و « الثقافة » بدمشق .

حياته يعمل جاهدا لدعمها ، والترويج لها ، وان لم تكن بحاجة الى الترويج بقدر ما هي بحاجة للدعم المادي ، وهذه شهادة صديق اردني لي وله هو الاخ الاديب عيسى الناعوري الذي كتب لي بتاريخ ١٩٧١/١٠/٥ وبعد وفاة البدوي الملثم يقول :

« الحقيقة ان خسارة مجلة « الاديب » بوفاة العودات كانت اكبر من خسارة الكثيرين غيرها ، فقد كان يعقوب ، في السنوات الاربع الماضيات يجمع لها من الانصار والتبرعات ما لم يجمعه لها انسان آخر . وفي عام يوبيل الاديب كان له اكبر الفضل في انشاء « لجنة تكريم الاديب » في الاردن ، واكبر الفضل في جمع مبلغ ١٣٠٠ دينار اردني وارسالها الى الاديب . وفي العام التالي كذلك مضى يجمع لها المال والاشتراكات ، وتسنى له — بفضل صداقاته العديدة في الاردن والخارج — ان يجمع بضع مئات اخرى ، واستمر في توفير الاشتراكات لها بعد ذلك حتى وفاته » .

لقد تألم للمحنة المادية التي ألمت بالاديب لذلك كتب لي بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٥ يقول : « احزنني الظرف القاسي الذي تبلوه مجلة « الاديب » ، وبالرغم من ظروف النكبة الثانية ، فقد استطعنا جمع بعض المال لتتمكن هذه الصحيفة الشريفة من مواصلة الصدور . وبارك الله في همتك وجزاك عن الادب خير الجزاء واطيبه .

اجزاء موسوعتي الفلسطينية تتراوح بين ٦ — ٨ اجزاء ، ولولا النكبة التي قلبت الامور راسا على عقب لتم تاليف اللجنة التي تتبنى طبع الاجزاء ، وها نحن بانتظار تحسن الظروف . سلم على القرينة والاب اسطفان سالم . والله يحفظك لقادر ادبك » . يعقوب العودات

عمان في ١٩٦٧/١٠/١٣

« اخي الاستاذ عيسى

ظهر البارحة عدت من زيارة لبنان مارا بدمشق ، ولم انس خلال الليلة التي امضيتها في جلق المرور بالشقيق الدكتور جوزيف — على الواقف — والسؤال عنك وابلاغك عطر تحياتي وهناك حصل لي شرف لقاء الوالدة الفاضلة .

بين الرسائل التي وردتني رسالتك اللطيفة المؤرخة في ١٩ الفارط ، وقد جاءت طافحة بأخبارك السارة . سرني ان تكون على صلة بالصديق القديم الاستاذ يوسف الصارمي ، وحبذا لو زرته كلما بلغت دمشق ، وحملت اليه قبلاتي وسلاماتي ، فالصارمي يا اخي كالقطع النادر !.

هاتفت الاخ الاستاذ حلاق فوافاني الى بيروت ، وكنا معا في زيارة الصديقين الاستاذين الصقال وبدوي الجبل المقيمين في المستشفى الالماني ببيروت ، وفي استقبال الصديق الاستاذ فارس الدبغي القادم من البرازيل ، وبعد ان امضينا معا مدة ثلاثة ايام عاد كل منا الى مقر عمله ، وقد علمت من الاخ عبدالله بفراغه من طباعة كتابي عن الاستاذ الصقال ، وبعد اسبوع من تاريخه سيفرغ من حزمه وتجليده والشروع في توزيعه ، وبالطبع سيكون اسمك في الطليعة ، واود ان اقف على رايك في هذا الجهد المتواضع لأنشره على صفحات « الاديب » وعلى ذكر « الاديب » ذكرتك كثيرا لدى الاخ الاستاذ البير واطريت ادبك الرفيع وخلقك السامي .

اعلمني سيادة الاب سالم بتبرعه بمبلغ خمسين ليرة سورية لمجلة « الاديب » وتفضل سيادته بارسال المبلغ الى صاحبها مع رسول امين ، من الله في عمره واجزل له الثواب والجزاء .

اعذرني اذا وقف القلم عند هذا الحد ، اذ ان علي ردودا على عشرات من الرسائل التي تلقاها « خالد » وابوه في الاجازة . سلم على القرينة واسلم لمحبك » . يعقوب العودات

عمان — الاردن ١٩٦٧/١٠/٢١

« الاخ العزيز الاستاذ فتوح

تحيات من قلب وبعد ، حالما عدت من اجازتي واطلعت على رسالتك الاخيرة اجبتك فورا وعرجت على ذكر زيارتي الخاطفة للاخ الدكتور جوزيف ، لكن مصلحة البريد في اللاذقية اعادت الرسالة وعليها عبارة « مجهول العنوان » فادركت انني لم اذكر على غلاف الرسالة عبارة « المشروع الثاني » فتداركت هذا السهو . وعدت الى ايداع هذه الكلمات والرسالة « التائهة » بريد عمان باسمك . مشاغلي لا تحصى وكل ما ارجوه منك ومن الاب العالم اسطفان سالم الصلاة من اجلي » المخلص يعقوب العودات .

عمان — الاردن في ١٩٦٧/١٢/١

« اخي الاستاذ عيسى نفعنا الله بعلمك ووعيك

تحيات من قلب وبعد ، بين يدي الساعة رسالتك المؤرخة في ٢٩ الفارط ، وقد سرني وجودك والقرينة الفاضلة والطفلة الغالية في غمرة من الصحة والسعادة . لكن اسفت لاقدامكم على شراء جهاز التلفزيون ، هذا الجهاز الذي تمقته آلاف العائلات في اميركا لانه كان سببا رئيسيا في رسوب ابنائها ، وانصرافهم عن دروسهم . انني يا عيسى اميل الى الهدوء والمطالعة الصامتة ، وامقت اللجاجة والصخب ، والصور المتحركة ! .

ما زلت بانتظار النسخ التي طلبتها من الاخ الاستاذ عبدالله حلاق من كتابي عن الاستاذ الصقال ، ولعلي اتلقى رأيك فيه ، كما ارجو ان نتعاون والاخ الاديب الاب اسطفان سالم على سبك الفصل الخاص بسيادته وموافاتي به بالبريد المسجل . سلم على القرينة العزيزة والاخ الدكتور جوزيف عند الكتابة اليه ، وتقبل والاخت القرينة تحيات ام خالد ومودة المعجب بشخصك ، الفخور بأدبك » . يعقوب العودات .

دمشق — **عيسى فتوح**



نقولا يوسف

مع فقيد الادب نقولا يوسف

بقلم رياض نصور

* * *

عقدت الدهشة لساني ، وملأ الحزن قلبي ، عندما علمت في مكتب « مجلة الاديب » انه مضى اكثر من عام على وفاة صديقي الاديب الكبير الاستاذ نقولا يوسف . هكذا يموت الاعلام ... هكذا يموت الادباء الكبار في بلادنا العربية . في صمت يذهبون ودون ان نسمع فالصحف والمجلات والاذاعات العربية والراي شغلها وما يزال موت المغني الفنان عبد الحليم حافظ ... واجهزة الاعلام هذه بكاملها لم نعرف وعن طريقها ولو خبرا صغيرا عن الاديب الكبير الذي قضى عمره في الكتابة والتأليف وترك للعربية اكثر من ثلاثين مؤلفا في القصة والرواية والدراسة الادبية منها ما نشر ومنها ما يزال مخطوطا بانتظار النشر .

نقولا يوسف هذا الكبير في ادبه ... الكبير في صداقاته ... الكبير في اخلاقه ... الكبير في وفائه ... يمضي هكذا مجهولا وكما يمضي اكثر الادباء غريبا عن الوطن وعن الديار ... لا كلمة ، لا همسة ، ولا اذاعة ولا تلفزيون ... لم يتحرك احد للاشادة بأعماله الضخمة ومؤلفاته الغزيرة ... فروايته « الهام » التي كتبها في اوج الشباب ... لم اجد عند دراسة الرواية في مصر من يشير الى هذا العمل الجبار والذي يعتبر من اسس الرواية المصرية القوية عمقا واسلوبا ودراية . ومن مجموعاته القصصية التي تلطف باهدائها الي : « هم وهن » و « مع الناس » وهي الى جانب كامل كتبه جديرة بالدراسة والتعمق والتعليق .

امتدت معرفتي بالاديب الكبير الى سنوات خلت .. كنا نتراسل دائما .. ولقد كان رحمه الله شعلة وفاء واريحية ومحبة .. كان يهديني مؤلفاته ويسألني عن الادب والادباء في مدينتي اللاذقية عروس الساحل . وكنت اوافيه ببعض مؤلفات الادباء اللاذقيين .

اهديته عام ١٩٦٩ مجموعة قصصي « اشباح المدنية » فكتب لي رسالة بتاريخ ١٩٦٩/١١/٩ وبها يقول : « تلقيت رسالتكم الرقيقة ووصلت الي بعدها مجموعتكم القصصية الجديدة « اشباح المدينة » ويبدو ان المجموعة تمهلت في طريقها الي فسبقتها الرسالة عشرة ايام ! — بينما كنت في طريقي الى القاهرة .. فصحبتها معي عملا بالقول المأثور : « سل عن الرفيق قبل الطريق » ...

وهكذا قدر لهذه المجموعة الحسناء ان تزرع الفضاء — من اللاذقية الى الاسكندرية — ثم الى القاهرة المعزية — لتعود الى شاطىء السكينة وتعيش مع اشباح المدينة .. وهناك ارجو ان اجمع اشتات نفسي ، وابدي لكم رأيي — ما دمتم ترون في مثل هذا الراي قيمة .

وكنت قد اطلعت على اقصوصتكم اللطيفة بمجلة « الاديب » عدد تشرين اول الماضي ... واعتقد انني كشفت في هذه الاقاصيص عامة عن قاص فنان موهوب ، دقيق الملاحظة ، جميل الاسلوب ...

فالى لقاء قريب — يا اخي الاديب — راجيا ان ارسل اليكم ما يقع لي من كتبي ... » .

وتوالت على مدى السنين رسائله وكتبه ومعايداته في عيدي الفطر والاضحى . وكانت الصور المهداة في الاعياد ليست من الصور التقليدية المعروفة ، وانما صور تجمع باقة من قادة الادب والفكر وتمثل الفقيد في جلسات مع طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور وصديق شيبوب وهلال ناجي وغيرهم .. وكنت اعتبر ان الاعياد التي اعايد بها بمثل هذه الصور الثمينة هي اعياد العرب اجمعين ولا فرق بين طائفة وطائفة وعيد وآخر ... ولا ادري كيف عرف مؤخرا فتوقف عن ارسال هذه الصور بمناسبة الاعياد وانما ضمن رسائله القيمة التي كانت تصلني تباعا ...

وكنت ارسل اليه مؤلفات بعض الادباء اللاذقيين وفي احدى رسائله المرسلة الي بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٣٠ يقول في احدى فقراتها : « جاءتني عن طريقكم المجموعة القصصية التي دبجتها يراعة الاستاذ القصاص عبدالله عبد بعنوان « مات البنفسج » وكتبت اليه على عنوانكم شاكرا فضله ... وفي الشهر الماضي تسلمت ديوان « ازهار » للشاعر الفنان منير سليمان وبعثت اليه اخيرا خطابا ... كما ارسلت اليه والى الاستاذ القصاص عبدالله عبد

مجموعتي القصصية « هـم وهـن » ـ مبادلة روحية تذكارية ـ ارجو ان تكون قد وصلت جميعا سالمة ...

ومع ذلك ـ اعترف بتقصيري المزدوج نحو هـذه المؤلفات القيمة سواء في الرد السريع على كل منها ـ ام بالكتابة عنها في احدى الصحف العربية ـ وعذري الذي احاول تقديمه : تلك الظروف... ومداعبات الشيخوخة... والمآسي القومية والشخصية ... ثم ما كلفت به من وضع مؤلف عن « اعلام دمياط » مسقط راسي وكنت قد قدمت كتابا عن « اعلام من الاسكندرية » وضممت الى ترجمتي ـ ابني اللاذقية ـ الراحلين صديق وخليل شيبوب لاقامتهما الطويلة في الاسكندرية ... وكم اود ان تقوموا مشكورين بنشر كتاب عن « اعلام اللاذقية » ـ لنزداد جميعا معرفة بحيـاة ادبائها ومجاهديها العاملين ، وبآثارهم واعمالهم اجمعين ... ومنهـم « الشيبوبين » الكبيرين واللاذقية مدينتهما حيث ولدا ...

وكثيرا ما يخفف عني ما أقراه لكم وعنكم بين الحين والحين في مجلة الاديب البيروتية ثم اتحرك للكتابة ... ثم انكص ... » .

ولا استطيع ان انقل الا القليل من رسائل المودة والاخلاص ، واكثر هذه الرسائل تتحدث عن الكتب التي ارسلها اليه دائما ولكنني احاول ان اعطي قدر المستطاع بعض ما جاء بهذه الرسائل مما يعطي صورة واضحة عن الاديب الكبير الذي كان جم التواضع ، جم التضحية جم النشاط رغم الشيخوخة ، وجم الاخلاص ...

بتاريخ ١٩٧١/٣/١٢ كتب لي يقول : « تلقيت هذا الاسبوع رسالتكم ومعها مسرحية الاستاذ مطنطي الحلاج « احتفال ليلي خاص لدريسدن » ـ وشرعت في مطالعتها بعـد قراءة مقدمتها التحليلية البديعة التي كتبها الاديب حنا مينه ...

فأرجو قبول شكري الجزيل على اهداء هذه التحفة الادبية الي ... وما سبقها من مؤلفات قصصية وشعرية بأقلام الادباء اللاذقيين الذين ازددت بهم بفضلك معرفة وتقديرا ... وكنت خير عامل على توثيق عرى المودة بين الثغرين العربيين الجميلين ـ اللاذقية والاسكندرية ـ .

والى ان افرغ لدرس هذه المؤلفات القيمة ـ ويقدرني الله على الكتابة عنها والتنويه بما هي جديرة به من تقدير وتقييم ، فقد ارسلت منذ يومين الى « بريد الاديب » البيروتي كلمة بعنوان : « تحية من الاسكندرية الى ادباء اللاذقية » ـ قصدت بها ان تكون مقدمة موجزة عامة لدراسة شاملة خاصة ان سمح الاجل ... » .

ولقد نشرت هذه التحية في عـدد مايو من الاديب لعام ١٩٧١ .

وكتبت له في احدى رسائلي اشكو لوعة فراق من نحب . فكتب لي جوابا مطولا وبه يقول : « ... انك اعلم يا اخي العزيز بأننا على سفر مـن هذا العالم الارضي المضطرب . نودع بعضنا بعضا ـ على لقاء في عالم آخر اكثر سلاما وبهاء ... ولكنـه فراق الاحباء مـا يحطم قلوبنا ... ومرض الاعزاء ما يهد قوانا ـ وليس امامنا الا الايمان ... والتجلد ... والتسامي بالاحزان ...

كانت رسالتكم امامي طوال هذه الايام الماضية ـ تكر سراعا متشابهة عابسة ... وانا اجهد في الاجابة والرد... وفي ارسال برقيات التعزية الى اهل الاصدقاء والزملاء الراحلين تباعا من تنعيهم الينا صفحة الوفيات بجريدة الاهرام كل صباح ... وانا اتوقع مقاوما تقلبات الطقس وموجات البرد ، ونوات امشير ـ ووعكات الشيخوخة ، وبلايا الحياة الدنيا ... الهو بخفيف القراءات وانبـاء الصحف وكلام المجلات ـ عاجزا عن حمل القلم المتجمد ، والقيام نحو الاعزاء الاوفياء بالواجبات ... كما ان لدي اكثر مـن عشرة مخطوطات تحتاج الى بعض المراجعة والتبييض ـ منها ما اعد في الاربعينات ومنها ما اعد بعدها تدريجيا ـ وقد يعود اهمالها ـ عدا الشيخوخة ـ الى نـدرة « الحوافز » و « الدوافع » التي تحركها مـن مكانها ... » .

اما آخر رسالة من الفقيد بعثها الي فهـي اطول الرسائل جميعا يحرضني بها على الكتابة والتأليف ويطالبني بطبع كتبي المهملة قبل ان تدركني الشيخوخة ويدعوني للكتابة عن صديق فقدناه فيقول : « حزنت على فقد الصديق الشاعر الشاب منير سليمان في حادث سيارة يرحمه الله ويحسن اليه ـ انني لـم اره قط ولم اعرفه الا عـن طريقك ... ليتك تكتب للقراء في « بريد الاديب » ولو نصف صفحة (مؤقتا) عن حياته واعماله للذكرى ...

لقد فقدنا في هذه الاعوام الاخيرة عددا كبيرا من ادباء العربية الشيوخ والشباب ـ وهي خسارة يؤسف لها ـ وعزاؤنا ان الكتاب والشعراء يتابعون الحديث عن مآثرهم وتراثهم .

لقد اتممت في ١٢ مارس الماضي سبعين عاما من عمري اي (بلغت من العمر ارزله) كما يقولون ـ ومع ذلـك احمد الله ، مـا زلت اسير علـى قدمي والتقي بالاصدقاء ... وواصـل قـراءة الصحف والمجـلات والكتب ... وان كنت فقدت الميل الى الكتابة والتحبير ... وعجزت عن تلبية نداء الاصدقاء مـن محرري الصحف والمجلات ... والرد على المراسلات والمكاتبات وتركت موسودات عشرات المقـالات والمؤلفات معرضة للتلـف والفنـاء ... » .

هذا مقطع اخير ومن آخر رسالة خطها لي بقلمه المرهف صديقي الاديب الكبير نقولا يوسف قبل ان يودعنا الوداع الاخير ... ولقد عرفته من خلال ما قدمه للمكتبة العربية من آثار قيمة ومن خلال رسائله الطافحة بالمشاعر النبيلة ، والوفاء النادر ، والتهذيب الرفيع ... وكم يطيب

راحلة

يا حبيبا لم يزل بين ضلوعي ... نغما يحلم بالفجر الوديع
ليس لي غيرك ، يا روح فؤادي ... انت شمس القلب في ليل الخشوع
يا لعين ذوبتني .. يا لوجه ... اخجل الورد ، وفي الورد نجيعي
ترحلين الليل ، والنار بجنبي ... وانا شوقي قطار للرجوع
كيف يا سارقة العمر اغني ... للهوى الراحل ، للهدب الصريع
منك ضاء الكون يا فتنة كوني ... فانتشى الصدر على صوت الرضيع

* * *

لك ، يا احلى عذاب في حياتي ... ابحر الزهر باضواء الشموع
زينة الدنيا التي يرقص فيها ... رمشك الاعذب ، يا نجم سطوعي
ملكتني .. قيدتني ، فاعتقيني ... بين هدبيك أيا حلوة جوعي
يا غرامى ، هل ترى يشهق عمري ... بالتراتيل التي اجرت دموعي
هل تطوفين على زورق دمعي ... هل تدوسين على عطري الصريع
فليبارك خطوك الحب المغنى ... واذكريني جمرة بين الضلوع !

مراكش ــ المدينة
ص.ب ٤٦١

آيت وارهام احمد بلحاج

لي ان تسارع وزارة الثقافة في مصر الى اصدار كتبه المخطوطة والى اعادة طبع كتبه المفقودة من المكتبات مع كامل تراثه الثر ... وان يسارع ادباء العالم العربي الى اعطاء دراسات شاملة عن الفقيد الكبير ... ولعلي بما اعطيته من ايجاز عن رحلة الصداقة بيني وبينه قد قدمت ولو شيئا ضئيلا من الوفاء للاديب الراحل . وقد اعود في المستقبل القريب لدراسة ادبه والكتابة عن بعض مؤلفاته التي اهداها لي في حياته وهي غزيرة المبنى والمعنى ، فياضة بما تحويه من عمق واصالة ورهافة احساس . وهي جديرة بالدراسة الواعية والتعمق الصحيح .

وسنذكر دائما ان صديقنا الراحل كان انسانا كريما واديبا مرهفا وقارئا متذوقا ، وصديقا صدوقا ...

لقد مضى نقولا يوسف وبقيت ذكراه حية في نفوسنا وقلوبنا الى الابد .

اللاذقية ... رياض نصور

الشاعر اسماعيل عامود

بقلم عبد الكريم دندي

***

يتابع الشاعر اسماعيل عامود رحلة الصيف بجهد متصل لم تفتر خلالها الهمة عن مكابدة آلام الابداع ، وعذابات التغرب فيها . وان ظل مترددا بعض الوقت في انطلاقته الشعرية بين الشكل المرسل والمقيد ، فمرد ذلك الى البداية العصامية التي عرجت طريقه في حقل المعرفة والادب . ومنذ ربع قرن وهو يكتب الشعر وينشره على الناس فوق صحائف الدوريات الادبيــة والمنابر سواء في دمشق او بيروت . وقد طرح حتى الآن خمس مجموعات شعرية هي :

ــ من اغاني الرحيل	نشره عام ١٩٥٩
ــ كآبــة	نشره عام ١٩٦٠
ــ التسكع والمطر	نشره عام ١٩٦٢
ــ اغنية للارصفة البالية	نشره عام ١٩٧٢
ــ اشعار من اجل الصيف	نشره عام ١٩٧٧

واذا كانت رحلة الصيف عند العرب الاقدمين . رحلة البيع والشراء والسياحة ، فهي عند شاعرنا رحلة الحلم والحزن والهوى . فهاجس الترحــال ضارب في غــور احاسيسه ، اذ ولد في بيت مرتحل بحكم وظيفة والده ، لا يستقر به المقام طويلا . ولا تألفه الجماعة . وكان هذا الترحال في الاقاليم قد غرس في وجدانه جو الاغتراب ، وحس الزمن ، فكان مزماره في غربته الدائمة ، والتجوال نوله الذي ينسج عليه خيوط بيرقه الشعري في رحلة الصيف على المدى ، مذ نظم الشعر اول مرة وراح ينشده امام ضيوف والده حينا ، وبين أترابه أغلب الاحيان :

« حبيبي .. قم بنا نمضي
بجو الحب طيرين
هجرنا الارض للناس
وهذا العالم القاسي
بعيدين .... بعيدين .. »

و « اشعار من اجل الصيف » ليست سوى خواطره التــي ارهقته احساسا بالمفارقات القائمة بــين الكائن والممكن . وشراعه الى العالم الفسيح عبر بوابة الخيال المطلق وجنوح الشاعر الى العالم السحري لم يغرب صورة عــن مألوف القارىء العربي . وظلت صوره الشعرية مشدودة الى واقعها الذي تهرب منه على جناح حلم اليقظة ، حيث السعادة والهناءة مسورة بالرغبة الفردية في تجاوز آلام الواقع . والوصول الى عالم سعيد . بلا مشكلات ترهق القلب والفكر معا . عندما يقلب الانسان في جوهرها عقله .

فمشكلات الواقع من حول الشاعر هي وليدة خلل فكري في البناء الاجتماعي الفوقي .. وممارسة مشوهة على الارض . والصور الشعرية عند اسماعيل عامود لم تمازج بين جموح احلامه ، وواقعه القائم فظلت على مدى الرحلة بعيدة عن الغرابة في عين القارىء ، ولم تكن تبهره ايضا لانها حافظت على اتزانها الادبي وفق منهج البلاغة العربية . وحدودها دائما في الواقع ، لا تنفجر العلاقات بين الحدود من اللاشعور بقدر ما تسامي الى العلو المتكون من دوائر احلام الشاعر .. :

« ايتها السواقي المترنمة في المنحدرات
صيفي يرتمي عن الاعالي معفرا بترابه .
بشحوبه .. وبأحزانه
انه ينتهي في آخر الوديان
وانتن ايتها القبرات فوق الاعشاب الحالمة
انبئن حبيبي في المدينة
انني ــ تحت الدالية ــ انشج ..
والدالية حبلى بألوان الصيف
انبئن حبيبي في المدينة عن تعذيبي
ونسيماتك يا صيف لم تعد تحمل الي نغم العصافير
لم تعد تقفز على اسيجتك بلابلي العاشقة
وكل ما فيك يا صيف ،
امسى شيئا من المقت والتعب والشجون
ببادري الثرية اطعمتها لاطيار الشحوب
المسافرة الى بلاد الغرام »

فرحلة الصيف كما نرى عند الشاعر اسماعيل عامود مشوار احلام متنوعة ، ومدار تساؤلات فردية شتى ، تتناغم فيها الذات الشخصية مع الصبوات الانسانية الى الراحة الدائمة في مستقر ابدي ، وتلك امنية الانسان منذ القدم دونهــا عثرات وتحديات لا تحصى . تقفز اليهــا الاحلام .. ولقد اغرم الشاعر بالتسكع ، ــ مركبته الوحيدة الى الامنية ــ واخذ من عطائه حجما لا بأس به . وان دل هذا على شيء في حياة الشاعر . فانه يدل بالتأكيد على هيمنة الطفولة على مسار رحلته ، والواقع ان صوره تعطي القارىء هذا الانطباع . فالخيال جانح الى المطلق ، يبتعد به الشاعر عن ارض الواقع ، وهذا الجنوح قد اغرق صوره الشعرية في المثالية وذلك انفصام كامل عن معايشة الشاعر والقارىء لما يجري حولهما من احداث واحلام .. ولولا اسباب البلاغة التي حافظت على حدودها في هذه الصور لما تذوق قارىء ظلالها او ارتحل مع الشاعر الى الاجواء المقصودة :

« لقد مرت سحابة فوق غرفتي
حجبت شمس الصباح عن نوافذي
وهمست : اين الخريف ؟
فانقبض صدري ، وعلت وجهي علامة يأس قاسية
وهتفت : ويحي
هل سينتهي صيف المحبوبة ؟

وتصبح عذابات الشاعر دامية بمقدار ما تجسد من هموم فردية يكابدها في العالم السريع نحو اهداف الجماعة الانسانية ، واسماعيل لا يشارك في حمل عبء الصليب مع هذه الجماعة . خوفا على فرادته . فأشكل عليه الهروب هذا الصليب . ومعاناة ثقله في رحلته الشعرية . وظل يرنو الى الخلاص من بعيد ، ويحدق في طريق الجلجلة كل يوم . فالتضحية في منظوره مطهر فردي . ولا يعيش قيمها الا في المستوى الذاتي . وتلك هوية الحالمين دائما :

« الزمان يسيرنا الى حيث لا ندري
انه يسرق منا اعذب الساعات واللحظات
بودي لو املك اعنته الجامحة
اذن .. لوقفت به على بابك يا حياتي
لسمرته عند صيفك بأشعاري
ولكن ما اضعفني يا الهي
تمنحنا الحب .. كي نتعذب
يحرقنا الشوق بالعذوبة ،
ويغمرنا الفرح ليردينا الالم بأودية الاوجاع
فلا شوق طال ، ولا فرح بقي
وصيفنا الجميل يستسلم
ينطفيء على عتبات الشتاء
يجرنا الى العتمة صاغرين ..

ومهما جهدنا ان نحمل الصور ظلال الواقع . فلا جدوى من كل ما نسعى اليه . فالشاعر لا يربط اشعاره بخيط فكري محدد . والغريب ان اسماعيل عامود يكابد هموم الوطن والمواطنين ، ولكنه يهرب ويهرب قارئه معه من هذه الهموم على مركبة الحلم الى البعيد . ويكفيه في هذا التهرب ودق العاطفة الموارة :

« رامبـــو
افق من سباتك الابدي
وتعال معي
لندق معا : بأرجلنا الحافيات
ساحات عاطفة الشعراء في القرن العشرين

ان الشاعر في رحلة الصيف يحلم ، ثم يحلم . ولقد عذبه هذا الحلم طويلا في مسيرته الشعرية والوجودية حتى .. لقد جهل الآخرون مقامه بينهم ، وتعبوا في مقاصده من هذا التسكع الدائم ولو تحت المطر . انه يغني كل يوم حتى لا يسمع آهات المحرومين . ويحلم كل ساعة حتى لا يرى آلام البائسين من حوله . ففي الحلم والشعر رحلة لذيذة تغرقنا في امنية الانسان ساعات قليلة :

« طيور احلامي
كم اطلقتها في الليل نحو دارك
فتعود الي وفي مناقيرها اغرودة حب يائسة
وعلى ريشها شحوب روح حرون
وفي عيونها دمعات اسى وتعاسة
فأحزن لحالها . واغص بمرارة
ثم امسح على ريشها برفق وحنان
كي لا تعود اليك ثانية
ايتها البخيلة الجاحدة
يا من تحب بلا احلام »

فالعذاب الذي يكابده الشاعر خلال رحلته . هو عدم فهم الآخرين مقاصده ، من جهة ، والموازين القلقة بين الناس من جهة اخرى . وكم تضنيه الزلفى عندما تصبح العملة الوحيدة في ميدان الحياة :

« في بلادي .. لكي تعيش
عليك ان تشترك في السباق
والا فاتك القطار
في يقظة الفجر الشاحب

والحزن ميسم بارز في صوره الشعرية على مدى الرحلة ، ويتوضح هذا الحزن في الوان مختلفة وان لم يحمل صك الفاجعة في وجدان الشاعر ، بقدر ما يمثل غربته القائمة في نفسه من التناقضات المتصارعة في واقعه :

« عندنا امر ... تكون الشمس في جفن الافق
بينما شحروري الغامق يغرد
بأغنية بائسة
انه يناديني ولكن .. ؟

او في مثل هذا الخطاب :

« ايتها المرأة .. انا اعطيك من افكاري
جمالا ورقة وصفاء وعطرا
وانت بقايا
تعطينني ماذا .. ؟
شحوبا وكآبة
ونشيجا وحزنا
لا كنت اذن ايتها البقايا »

فرحلة الصيف اذا عند اسماعيل عامود رحلة الحزن والحلم . حلم يجنح به عن واقعه المضني . وحزن على احتراقات الانسان في الوجـــود . ان استمرار عطائـــه الشعري ربع قرن من الزمن على عربة الحزن والحلم ، بعيدا عن هموم الواقع وازماته الخانقة دون الوقوع في التكرار والرتابة او الاسفاف هو انتصار كبير بحد ذاته . اضف اليه ريادته في حساب الزمن للشكل المرسل من اشكال الشعر العربي الى جانب سليمان عواد ومحمد الماغوط في القطر العربي السوري والفرسان الثلاثة من مدينة السلمية وان اختلفت بدايات كل شاعر منهم ومداره الشعري في عالم الادب .

سلمية ـــ سورية **عبد الكريم دندي**

السقوط في الليل

◎

حسين علي محمد

◎

الزقازيق — مصر

.. وتطلعين فالصباح
معطر الجناح
وأنت ترفلين في ثيابك البيضاء
كفلة تحوطها الانداء
والعاشق الذي ألقته في الطريق
عواصف الحنين والاشواق
يظل مغمض العينين
حالما بقطرة من مائك اللجين
وهمسة من شعرك الرقراق

أراك ساعة الظهيرة
غمامة تحوطني بالظل والامان
وترتوي احلامنا
وأنت يا أميرة
أراك ترأبين صدع ذلك الجنان
من حبه القديم ..
من احلامه السراب
وتزرعين في ربيعه اليباب
ألف فلة
ترى كم يستمر ذلك الامان
في احضانك المظلة

أراك في المساء تخرجين من يدي
وتفلتين من اصابعي
يا فلتي البيضاء ..
أين تذهبين ؟
والخاطفون ...
أنوارهم مثيره
أموالهم كثيرة
عيونهم ضريرة
لا يبصرون العاشق المسكين
في الظلام
أحلامه كثيرة
كأنها التلال
ايديهمو خبيرة
وأنت يا أميرة
وأنت يا أميرتي الغريرة
لم تصمدي للسيل
أراك تسقطين
فراشة محروقة في الليل
أراك تسقطين
والليل مستمر
والصبح لا يبين



ديوجين الحكيم

مسرحية شعرية – تأليف عدنان مردم بك – ١٤٠ صفحة
منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت

بعد ثلاثة دواوين ، وثماني مسرحيات شعرية يطل علينا الشاعر عدنان مردم بك بمسرحيته التاسعة « ديوجين الحكيم » التي استوحاها من حياة الحكيم اليوناني ديوجين « الذي ظل يبحث عن الرجل (وقيل عن الحقيقة) جاهدا طوال عمره في وضح النهار ، وهو يحمل فانوسه ، ولم يوفق في العثور عليه » .

ولكي لا يكون موضوع المسرحية غريبا على القارىء ، فقد اثبت المؤلف في صفحاتها الاولى الدافع الذي حداه الى اختيار هذا الموضوع ، وتحدث بالتفصيل عن الحكيم ديوجين الذي يقال انه كان رجلا غريب الاطوار ، حتى رماه بعض الناس بالهوس والجنون ، ومنهم الكاتب الفراتي لوقيانوس السميساطي في كتابه « مسامرات الاموات » الذي يعتبر اول رحلة خيالية الى العالم الآخر في تاريخ الادب العالمي(١) .

كان ديوجين ينتمي الى زمرة الحكماء الكلبيين الذين عرفوا بالزهد والتقشف الشديد ، فقد عاش حياته لا يملك الا عصا غليظة ، وعباءة خشنة يستر بها جسمه ، وقدح خشبي يشرب به الماء ولما شاهد مرة طفلا يشرب الماء بكفيه من النهر ، حطم قدحه قائلا : « ان الاطفال اشد معرفة مني بالاشياء » فتخلى عنه فورا .

كل ما وصلنا عن ديوجين لا يتعدى بعض المماحكات الجدلية التي جرت بينه وبين الفيلسوفين افلاطون وارسطو ، وكلها تدل على سرعة بديهته ، ونكتته اللاذعة . الا انه لا يمكن ان يعد في جملة الفلاسفة اليونانيين ، لان آراءه في الحياة لم تتعد بعض الحكم المتناثرة التي لا ترقى الى مستوى الفلسفة . واغرب ما في حياته قصة موته ، اذ امتنع عن التنفس حتى اسلم الروح ، ولهذا السبب كان موضع تقدير الفيلسوف الالماني شوبنهور الذي اعجب بطريقة موته ، واعتبرها اعظم انتصار على الحياة ! .

تحدى الحكيم ديوجين الناس بلا رفق ، وراح يذمهم لتكالبهم على حياة تافهة ، قصيرة ، يملؤها الزيف والغش ، ولذلك حمل فانوسه المضاء في رابعة النهار ، وراح يتجول في شوارع اثينا ، فاذا سأله احد عن السبب اجاب : « انني ابحث عن الرجل ! » . ثم يعود فيدخل برميله ، ويفكر في امور الناس والمجتمع ، فكان بهذا مصلحا اجتماعيا اشبه ما يكون بأبي العلاء المعري .

اما لماذا اختار الشاعر عدنان مردم بك هذه الحياة الغريبة ليجعلها موضوعا لمسرحيته ، فهو سؤال كثيرا ما طرح عليه ، وأجاب عنه بقوله :

« ظلت كلمة ديوجين ترن في اذني ردحا من الزمن حتى رجعت الى تاريخ اثينا السياسي والاجتماعي زمن ديوجين بالذات ، فقرأت العجب عن فساد الضمير والانحطاط الخلقي ، رغم نضج شعب اثينا الفكري . فقد انقسم الناس الى شيع شتى ، منهم من يدعو الى الملك فيليب المكدوني ، عدو شعب اثينا اللدود ، ومنهم من هو حائر في امره ، يتخبط في ظلمة الجدل العقيم ، والقليل من ادرك الخطر ، وكان ان هاجم فيليب المكدوني بلاد اليونان ودخلها دون كبير مقاومة ، بأن اشترى ضمائر رجال السياسة بالمال .

لم تحرك اثينا ساكنا طوال حياة فيليب المكدوني ، واستكانت على الضيم ، سوى افراد قلة – كالخطيب ديموستين – تفرقوا خارج الوطن ، وعاشوا مشردين .

شهد ديوجين تلك المأساة الاخلاقية التي تفشت في نفوس رجال الفكر والسياسة ، وهاله هذا التردي في مطاوى الفساد ، فأنكر على قومه رجولتهم ، وراح يتحداهم بقوله لكل من يسأله عن حمله الفانوس في وضح النهار ، بأنه يبحث عن الرجل » .

يخيل لي ان الاستاذ عدنان مردم بك اراد في مسرحيته هذه ان يعيد بناء النفوس المتراخية التي فقدت رجولتها ، كما فقدتها ايام ديوجين ، فراح يفتش عنها في وضح النهار بطريقة لا تخلو من السخرية والتهكم والاستهزاء ، وان يشير الى الخطورة التي تكمن في استسلام الشعب الى الفساد والترف واللامبالاة ، اذ لا فائدة من الفلسفة لشعب باع الضمير ، وداس الاخلاق ، ولا جدوى من البحث في الميتافيزيك في امة مات وجدانها ، واستسلمت للمجون ، ولذلك احتقر ديوجين امثال هؤلاء الناس الذين الهاهم الترف عن التفكير بوطنهم المغلوب ، فلا يغضبون لحمى مستباح ، ولا يسألون عن مجد ضائع :

والشعب في سنة الزيف ... كانه اهل الرقيم
سئم النضال ولم يطق ... دفع الاذى بيد الكريم
ورأى السلامة في السلام ... فكان اضيع من يتيم

لم يشأ الشاعر عدنان مردم بك ان يمر بهذا الدرس التاريخي الاليم دون ان يستفيد من عبرته ، بل احب ان يقف عنده وقفة مستأنية ، ليستخلص العظة ، ذلك لان العظة التي يستمدها الانسان من التاريخ تكون اوقع في النفس ، والرمز احيانا ابلغ من الافصاح .

تقع المسرحية الشعرية في اربعة فصول وستة عشر مشهدا يطول او يقصر حسب الفكرة التي يعالجها فيه ، واختار لها بحرا قصيرا هو مجزوء الكامل ، دون ان يلتزم فيها قافية واحدة ، فكان كلما انتقل من مقطع لآخر ، اختار قافية جديدة ، فابعد بذلك عنها صفة الرتابة والاملال التي ترافق القصائد الطويلة ذات القافية الواحدة عادة . كما نشر فيها الكثير من الحكم ، وهذا امر طبيعي في مسرحية جرت احداثها على ارض اليونان ، بلد الفلسفة والحكمة ، ناهيك عن ان بطلها الرئيسي حكيم ، خبر الحياة ، وحنكته التجارب ، كقول الشاعر :

ان مات في الشعب الضمير ... فما لعثرته قيام

وقوله :

ولرب خطب مستطير ... مبتداه من صغير

وقوله :

تشفي المحبة من جرا ... ح الكره ما لا يدمل

ويشير الى ان الحضارة اذا بلغت اوجها ، لا بد ان يدركها الهرم ، وتضنيها الشيخوخة ، الى ان يهلكها الموت ، مثلها في ذلك مثل الكائن

(١) لوقيانوس السميساطي : (١٢٥ – ١٩٢) ولد في سميساط على نهر الفرات (سورية) وكان خطيبا وفيلسوفا يونانيا ، له عدة مؤلفات اهمها « مسامرات الاموات » الذي ترجمه الاستاذ الياس سعد غالي الى اللغة العربية عن الاصل اليوناني ، ونشرته اللجنة الدولية لترجمة الروائع عام ١٩٦٧ .

الحي ، وهي فكرة اشار اليها بعض المؤرخين ، كابن خلدون وآرنولد توينبي :

ان الحضـارة كالكعاب   تشيخ مـن بعد الشباب
ومـآل كـل حضـارة   مـا كان قدر من خراب

ويرى انه لا نفع من الحضارة اذا لم ترتبط بالاخلاق السامية والفضيلة ، وان السعادة في الفضيلة ، والموت في الرذيلة :

مـا كـان نفـع حضارة   ان جردت عنهـا الفضيلة
ان السعـادة في الفضيـ   لة ، والمنيـة في الرذيلة

وبعد فالمسرحية بالاجمال ذات حبكة جيدة ، واسلوب طلي عذب ، يحس القارىء وهو يطالعها بتسلسل الحوادث واتساقها . اما القوافي فكانت تتنوع من مقطع لآخر ، منسجمة مع المعنى ، لا عسر فيها ولا تكلف ، ابعدت النص عن الرتابة والنمطية ، وخلعت عليه ثوبا فضفاضا من الحركة والحياة ، والحوار مقتصد لا يطول ولا يقصر ، والموسيقى واضحة في الالفاظ الغنائية ، والقوافي الطيعة المنتقاة ، وكل هذا يؤكد لنا ان الشعر يمكن ان يستخدم اداة للمسرح كالنثر ، اذا كان الشاعر المسرحي موهوبا .

دمشق   عيسى فتوح

* * *

امـــواج

ديوان شعر : عبد الرحيم الحصني — (؟) صفحة — منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق

اصدرت وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق اول ديوان للشاعر الاستاذ عبد الرحيم الحصني ، وعنوانه « أمواج » . واستهل الشاعر ديوانه بالاهداء الآتي :

« الى الحياة بكل ما فيها من آلام وآمال
الى الانسان بكل ما فيه من عوالم
الى أمتي التي تخط سفر خلودها رغم كل التحديات .
الى كل موقف نبيل .
الى كل ابتسامة حب
الى كل خفقة قلب
أهدي ديواني الاول » .

والذي يقرأ الديوان ، وهو يستحق المطالعة الجادة من دفته الى دفته ، ويستحق فوق ذلك انتقاء مختارات منه وحفظها عن ظهر قلب ، يجد الشاعر وقد احاط بكل ما اهدى ، وبكل من اهدى ديوانه اليه : فيه آلام الحياة وآمالها ، فيه الانسان وعوالمه الواسعة ، فيه الامة العربية بتوثبها وطموحها الى الحضارة والتقدم ، وفيه تسجيل لمواقف نبيلة ، وفيه ابتسامات مشرقة للحب ، وفيه خفقات قلب مضطرم رغم ما علا الرأس من شيب .

والانطباع الاول الذي يخلفه الديوان هو ان صاحبه شاعر مطبوع ، يتدفق شعره من قلبه كما يتدفق الماء من الينبوع ، لقد ملك عليه الشعر كل حواسه ، فهو يعيش له ، بل لعله يعيش له وحده ..

لقد ذكرني حبه للشعر وتقديسه له واستغراقه فيه بقول الشاعر الكبير رسول حمزه « داغستان بلدي » :

أيها الشعر
أنا — لولاك — يتيم .
لولاك كان العالم مغارة من الظلمات .
لا تعرف قطرة شمس
او سماء دون نجم يلمع
او حبا لا يعرف حرارة قبلة .
لولاك كان العالم بحرا لا زرقة فيه ،
ولا رطوبة خالدة ، ولا حركات لانهائية ،
او بستانا لا ازهار فيه ولا اعشاب ،
ولا اغنيات بلبل ولا نغمة صرصور .
لولاك لكانت الاشجار عارية سودا
لا شيء غير ضباب تشرين ، لا صيف ولا شتاء ولا ربيع .
لكان الانسان وحشا وشقيا
والاغنية ... ولكن الاغنية لا يمكن ان تكون .

مثل هذا الشعور نجده في ديوان عبد الرحيم ، ان الشعر هو الهواء الذي يتنفسه ، والدم الذي يجري في عروقه ، والنور الذي ترى به عيناه ، والخمرة التي تتلحظ بها شفتاه .

وهذا الحب الذي يكنه للشعر حب صوفي مجرد ، انه يعلم ثم يسجل آلام الشعراء وحرمانهم وبؤسهم وشقاءهم ، ولكنه مصر على تحمل هذه الآلام لانه يعرف قيمة الشعر وما يزين به الدنيا من جمال ، وما يقدمه الى البؤساء من تعزية وسلوان .

قـال :

وأين مـن نازف النجوى مزيفها   وأين من لين قلب الهائم الحجر
الحب ، والشعر ، في جنبي مهدهما   كلاهما ، في فؤادي ، الثائر الضجر
أرنو الى .... المجهول أسأله   ماذا فعلت باهل الشعر يا ...
لنـا الهداية دون الناس ننشرها   ومـن معابدنـا الآيـات والسور
ما في المجامر ... الا عودنا عبق   ما في الخمائل ... الا وردنا عطر
نبـادل الناس احسانـا اساءتهم   ونغمـر الذنـب تحنانـا ونغتفـر
لا الشمس ، لولا وسيم من متارفنا   لاحت ، ولا هل لولا ليلنا القمر

ويذكر عبد الرحيم فضل الشعر على الشعراء ثم يذكر ما يلاقونه من آلام يستريح منها الغافلون ، فلا يشعرون بها :

يا شعر لولاك ما رفت لنا مهج   ولا استبحنا لعـذال ، ولـوام
الغافلون استراحوا في جهالتهم   ونحـن نغمـد آلامـا بـآلام

ولعل اروع الابيات التي يذكر فيها ألم الشاعر وحرمانه ، ابياته في رثاء الشاعر المرحوم بدر الدين الحامد ، واشارته الى الحملة التي استهدف لها الشاعر في قصيدة له غنائية مشهورة ، قال عبد الرحيم :

وهل اعيش على ارض سكبت لها   عصارة القلب حبا عيشة الغربا ؟
نجاهل القوم شكوانا ، وما علموا   ان النهى والندى في شعرنا اصطحبا
مـاذا يقولون للاجيال ان سئلوا   عنا ؟ وهل يحذف التاريخ ما كتبا ؟
من نحن ؟ نحن هدايا الله زودنا   من معجزات المعاني خير ما وهبا
يميد رأس العلى من غمز قافية   وينحني وجـلا مـن شاعر غضبا
ما لي ارى الناس حولي لا حراك بهم   حتـى كأن غرابـا فوقهم نعبـا
ماذا علينـا اذا هبـت جوانحنا   وجـدا لفقـد زمان طيـب ذهبا
أنحرم (الآه) — واذلا لعصمتنا —   حتى على (الآه) لم نسلم من الرقبا

ومن هذا الحب العميق للشعر ، والحنان الضافي على الشعراء والادباء ، ورجال الادب والفن على العموم — تنبع سجية رائعة في قلب الشاعر ، كما تشمخ الشجرة السامقة في الوادي الخصيب ، انها سجية الوفاء الكامل للاصدقاء من الشعراء والكتاب والفنانين الذين ماتوا — دون قبور — ملأوا الدنيا صداحا ونغما ، ثم لم يلقوا من الناس

والمجتمع الا الاعراض والاذى ، ومن هنا كانت قصائد الرثاء كثيرة في الديـوان .

ان الوفاء هو اهم ما يميز الشاعر بعد حبه للشعر ، وهذه قائمة باسماء رجال القلم والريشة الذين فاض قلب الشاعر بالحسرة عليهم فوقف يرثيهم ويدعو المجتمع الى تقديرهم والى التخفيف من مصائبهم في أثناء حياتهم ، لا الى الاكتفاء بتكريمهم بعد وفاتهم ، ونجد في هذه القائمة بعض الشعراء العرب الكبار الذين اشترك في حفلات تكريمهم ومهرجاناتهم :

١ ـ ابو فراس الحمداني . ٢ ـ الموسيقار الرسام سليم عماري .
٣ ـ بدر الدين الحامد . ٤ ـ سامي الكيالي . ٥ ـ سامي الدهان .
٦ ـ محمد اقبال . ٧ ـ وصفي قرنفلي . ٨ ـ نظير زيتون .

وهو حين يذكر الوفاء الذي دفعه الى رثاء الشعراء والادباء يتهم الخيانة ويدينها ويراها ذنبا لا يغتفر . قال :

ذنب الخيانة ليس يغفر ما انطوى   في الحادثات ، وكـل ذنب يغفر

ورغم كل هذه المراثي فهو يرى حينا انه لم يوف أترابه وأحبابه حقوقهم عليـه :

رتل من الاتراب سار . وليتني   وفيـت بعـض محبتـي الاترابـا

وهو يسأل التراب حينا هل قضى واجبه :

مهد الهوى . تلك آياتي انزلها   على ثراك ، فهل وفيت قرباني ؟

وهو يذكر قلبه الوفي حينا :

لك الخلود على مر العصور ، ولي   قلـب الوفي لأمس طيـب ذهبـا

وفي هذه المراثي جميعا نجد الشاعر الصادق ، والانسان النبل ، والدمعة الوفية ، والحسرة اللاهبة ، والقلب الكبير .

قال في رثاء وصفي قرنفلي الشاعر الكبير الذي حمل الآلام المبرحة سنين طويلة لم يكد يذكره فيها احد :

أخا القصيد حملت الداء مرتضيا   وقلت للخوف : هذا دربك الوعر
فاعصف بما شئت، انيفوق ما حملت   مـن كبرياء السماء الانجم الزهر
وما انسدت لحمل الداء من وهن   ان الاباة اذا ما استهدفوا صبروا
لكنما الوحي هد الجسم فارتجفت   يمناك ، وانساب في اعصابك الخدر

رحم الله (وصفي القرنفلي) فقد حمل من الآلام ما لا تحمله الجبال .

وعبد الرحيم الحصني ، الشاعر الوفي ، وطني عربي معتدل ، ويظهر حبه لبلاده في قصائده الوطنية ، وهي غير قليلة ، انه يريد الوحدة العربية ، ويذكر فلسطين ، ثم لا يمل الحديث عنها ، والدعوة الى انقاذها ، ويظهر حبه لبلاده ايضا في ذكره للمدن العربية ، وخاصة في سورية ، فحب الوطن ليس من الضروري ان يكون صراخا ، ولكنه يبدو ايضا فيوصف جمال الوطن ، وانهاره وغاباته وآثاره ، فالقدس العربية والمسجد الاقصى وكنيسة المهد ، وحلب الشهباء ومجد الحمدانيين ، وحماة ونواعيرها ، وحمص وعاصيها وميماسها ، وبانياس وبحرها ، وبيروت وغوانيها ، ودمشق وغوطتها ، كلها ترد في شعره مرارا ، دعوة الى التمتع بالجمال ، والى الفخار بالمجد السالف ، انه حب يتغلغل في نفسه ، فيعبر عنه في بساطة وعفوية :

مروجي على(الميماس) ما زال عطرها   يعانق بوح (الغوطتين) ويطرب
أصبرا وأرض (القدس) راحت بظلها   بقايـا فلول الشر تلهـو وتلعب
وألف (مسيح) عند كـل ثنية   بأيـدي الدخيل الوغد يـا شرق
شهباء ! دنست الاوغاد تربتنـا   ونحن لمـا نزل نستنفر الخطبـا
رصاصنا الشعر ، والاقوال عدتنا   وكيف نسلم ان لم نحمل القضبا
(لبنان) يا ترف الجمال تركتني   لا اشتهي مـن غـير مائك منهلا
رويتنـي مـن راحتيـك فاعشبت   نفسي لديك ، وزرع وجدي اسبلا
انا من نسيمك ، ما نعمت بنسمة   الا وعـاد لـي الشباب واقبلا
بينـي وبينك عهـد حـب خالد   سيظـل في خلـد المـودة أولا

والحصني في امواجه شاعر غزل رقيق ، يحب الجمال ، ويذوب فيه ، رضع لبانه صغيرا ، ورتع في رياضه يافعا ، وركع في محرابه كبيرا . تحس وانت تقرأ قصائده في الغزل بصدق حبه للجمال ، قد تتبدل اسماء احبابه ، ولكن الجمال هو الذي يهواه في هؤلاء الاحباب ، لا الاسماء ، ولا الاشخاص ، لكان للحسن تمثالا في قلبه ، ثم تأتي أميمة او سلمى او ليلى ، او السابحة في البحر ، ليكون نماذج او نسخا من هذا التمثال .

قال في سابحة :

بنت السواحل ! ما احلاك واهبة   اذا حدبت ... وما انداك انعاما
فجرت في شبابا كنـت اندبـه   وكنت احسبه قـد صار احلامـا
يا للربيع ... لقد عادت ازاهره   نشوى وصفـق سكرانا وبساما

لقد أحيا الحب الجديد قلب الشاعر ، واضرم ناره ، وكان يظن ان السنين أطفأت نيرانه .

وقال في (غادرة) :

يـوم اطللـت وانتظاري اعشب   اهـل الشعر بالربيـع ، ورحب
اهـل الشعر بالدلال ، بجفـن   متعـب الهدب ، بالتفاتة ربـرب
اهـل الشعـر بالفراشة عطشى   تجتني لمعـة الشفاه ، وتنهـب
اهـل الشعر بالصباح ، بوجـه   لـون الورد وجنتيـه ، وخضب

اسلوب الشاعر : أرجأت الحديث عن اسلوب الشاعر الى آخر البحث كيما يجد القارىء نماذج من شعره . ان الحصني شاعر يحب التراث الشعري العربي ، ويدافع عنه ، ويدعو الى اغنائه وانمائه ، ويحرص على اوزانه وقوافيه ، وربما هاجم من حين الى حين اولئك الذين يخرجون عليه ، ويدعون الى لون من الشعر لا يوافق عليه ، ولا يقره . ولكن حب هذا التراث لا يحول بينه وبين انتقاء الكلمة الصافية ، والمعنى الرقيق ، والصورة الشعرية الراقية ، انه من مدرسة « الشعر العربي المصفى » مدرسة بدوي الجبل ووصفي القرنفلي وبشارة الخوري ، وكل هؤلاء الشعراء الكبار الذين آمنوا بالشعر العربي القديم ، ومقدرته على التعبير ، ضمن اشكاله ، عن خلجات النفس ، وعواطف القلب ، ونوازع الضمير ، وشطحات العقل ، ثم حاولوا بعد ذلك ووفقوا في محاولاتهم الى مد هذا الشعر بينابيع دافقة من الالوان والصور والافكار والعواطف والمفردات ، فكانهم كانوا عمرا ثانيا وحياة جديدة في السلسلة الذهبية والعقود الفريدة للشعر العربي .

واذا كان لنا ان نلاحظ شيئا على هذا الديوان فانا نرجو ان يستطيع

عبد الرحيم في دواوينه القادمة الكثيرة – ان شاء الله – ان يشق طريقا خاصة به ، لنقول كلما قرانا شعره : هذا شعر عبد الرحيم ، شعره وحـده .

تهانينا للشاعر الصديق الرقيق ، وألف مرحبا بأمواجه .

دمشق عبد المعين الملوحي

* * *

عوض قشطة – حياته وشعره

تأليف حسين علي محمد – (؟) صفحة – مطبعة (؟)

ان سلوكية الشاعر والناقد حسين علي محمد الظاهرة والمستمرة في كتاباته عن اقلام لم تعرف بعد او لم تأخذ حقها من الدراسة او تعيش في زوايا الاهمال والصمت وهو بعد في شرخ الشباب وذروة الحماسة ، طبيعة انسانية نادرة الوجود في حياتنا الثقافية المشغولة وعلى جميع الاصعدة اعلاميا وثقافيا باناس عرفوا كثيرا ، وباقلام كتبت عنها الاقلام الكبيرة والصغيرة ، الواعية والتافهة ، بغية الادب وغير الادب ؟

قلت ان هذه السلوكية طبيعة انسانية ومتاصلة في نفس حسين المتفتحة والمشرقة والتي تغري الآخرين على التفتح فالعطاء ، فخوض غمار الحياة الثقافية عرضا وطولا .

وها هو حسين علي محمد يكتب عن انسان ولد بعيدا عن اضواء القاهرة في قرية من قرى الدقهلية ولم يتمكن من متابعة الدراسة والاتصال بوسائل الاعلام الا في سنواته المتاخرة رغم انه من مواليد ۱۹۱۸ ويقوم صديقنا حسين المسكون بالحب بتعريفنا على حياته وشعره ويقدم للعربية انسانا عصاميا فيضرب من خلال كتابه هذا مثلا تطبيقيا للآخرين في الايثار .

اشتمل كتاب عوض قشطه على مقدمة جاء فيها : « انني اقدم هذا الكتاب عن شاعر في الظل عسى ان ياخذ بيد هذا الاديب ويضعه في دائرة الضوء وسيعرف القراء في هذا الشاعر لؤلؤة صادقة في بحر الاصداف الذي يغطي حياتنا الادبية » .

ويطلعنا على سيرة شاعر من نشاته وبيئته ومنابع ثقافته واتصاله بالادباء والمجلات والاذاعة منذ عام ١٩٦٦ ، ثم يتحدث عن اغراض شعره ويبدي آراءه في سياق حديثه ، ويطلق احكاما قيمة مما يدفع بالكتاب الى مرتبة الموضوعية والنقد وأورد ثلاث ملاحظات من اصل ست ابداها المؤلف على شعره الوطني ويمكن ان نطلقها على جميع شعره :

١ – معارضة الشعراء الاقدمين والمعاصرين واقتباس معانيهم .
٢ – تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في بعض صوره .
٣ – يعيب بعض هذه القصائد شيئان هما : الخطابية والتقريرية التي تصل احيانا الى حد النثرية .

وقد علل ذلك الضعف لسببين :

« ١ – انصراف الشاعر مدة طويلة عن الحياة الادبية .
٢ – اكتفاؤه بسماع ما يتردد في الاذاعة من الاغاني » .

وسوف اشارك القارىء جولتي مع المؤلف والشاعر عوض . في الفصل الاول نلمح عنوان « في رحاب الايمان » ويستعرض الناقد شعره الديني .

اقتطف بعض ابيات من قصيدته الاولى :

الهي نحو بابك قـد سعينا وجئنا في رحابك واحتمينا



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفـع قيمـة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسـات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجـوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحـد ادنى
في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابهـا سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلـة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨–١١
بيروت – لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

الهي كـل شيء فيك يحلو   صبرنا ام جزعنا ام قضينا
الهي انت تعلم مـا جنينا   فعفـوا ربنـا عمـا جنينا

وفي فصل « شاعر العاطفة والوجدان » يقول المؤلف عن تجربته هذه ما يلي : تجربة الشاعر عوض قشطه مع شعر العاطفة والوجدان تجربة مثيرة فهو لم يكتب هذه القصائد الا بعد ان نيف على الخمسين وهي قصائد جيدة » .

يقول في قصيدة الى محبوبتي :

محبوبتي والعيد حـين أراك   وأجـل ساعات الزمان لقاك
حينا يداعب مهجتي طيف المنى   فأرى السعادة حيثمـا ألقاك
اني محبك ما حييت وليتني   كل صبح ما حييت أراك

ولا يخلو الرجل من شعر الحكمة والتأمل :

عـش في الحقيقـة وانشـد   ودع الخرافـة والخيـال
خـذ مـن حياتـك حرفـة   تغنيـك عـن ذل السـؤال
ان سـاء حالـك فانتظـر   حـالا سيأتـي بعـد حـال

وفي قصيدته (تأملات) شاعرية مرفرفة يقول فيها :

مس الهوى قلبـي الرقيـق   فرحـت في صمـت عميـق

وبعد ان يعدد ما وجده في الكون من شمس مشرقة ، وطير شادية ، وماء يتسلسل وزرع يزهو نضرا :

حتى نجوم الليل في قلب الظلام لها بريق
الصمت خير والتأمل سلوة القلب الرقيق
لو ادرك الانسان سحر الكون ما ضل الطريق!

ويختتم فصول شعره بباب المراثي من قصيدة يرثي اباه يقول :

رحيما كنت يا ابتي عطوفا   ولولا ذاك ما طاب الفراش
غداة هجرتني لـم ألق خلا   يؤانسني وان كثـر الاناس
متى القاك ألقى الانس يسري   لنفس ساقهـا منـك ائتناس

وبعد ذلك يختتم الكتاب باقوال النقاد عن عوض قشطه للدكتور عبده عبد العزيز والشاعر فؤاد بدوي والشاعر المرحوم عبدالله شمس الدين الذي قال عن القشطه : « احيي فيك عصاميتك كما اهنئك بموهبتك الفياضة الاصيلة » وبدوري من سورية ومن حلب الادباء احيي الناقد الشاعر حسين والشاعر قشطه وألف تحية .

حلب — مصطفى النجار

***

١ — نافذة للبراق

شعر امجد محمد سعيد — ٦٦ صفحة — وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

في سلسلة كتابات جديدة ظهرت اضمامات جيدة تبشر بالخير في عالم الشعر سنعرف القراء بها في هذه السطور .. من هذه الاصدارات — نافذة للبراق — للشاعر امجد محمد سعيد .. تتألف المجموعة من ست عشرة قصيدة موزعة على ٦٦ صفحة .

القصائد صادرة عن عفوية وايمان ينهض دليلا على حب الانسان والتزامه بقضيته وحقه الكامل في الحياة الحرة الكريمة يقول :

آه
يا زهرة عباد الشمس
خذيني
يا زهرة عباد الشمس
المفتوحة كالقلب العربي
المزروعة كالراية

القصيدة عند امجد محمد سعيد حصان جموع يركض على صفحات عديدة في اطار مفتوح فالسطر الواحد يتكون من كلمتين او ثلاث ولو اختصرنا هذه المجموعة لما تعدت نصف حجمها .. بعض الخواطر تحتاج الى صيغة جديدة امثال : ذاكرتي المزحومة وعصافير الرصاص أرجو له نجاحات مستمرة .

٢ — وردة لعيون البعثية ليلى

شعر غزاي درع الطائي — ١١٤ صفحة — وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

يمتلك الشاعر غزاي درع الطائي احساسا شعريا جيدا وقابلية تظهر في تدويره القصيدة تدويرا يدل على نفس طويل وخيال مشحون بالافكار والصور وهذه ظاهرة لا نتلمسها في غيره من الشعراء الشباب الذين يستعجلون النشر .

تتألف المجموعة من ثمان عشرة قصيدة موزعة على ١١٤ صفحة هذا مقطع من قصيدته — تفسيرات اولية لكلمة امراة :

أدفن وجهي في العشب وأبكي كالفرسان المهزومين ، فكل بنات الحي مررن بقربي الانهر الورد المحزون ، فكل بنات الحي مررن بقربي الا وجهك ...

وفي قصيدته — مطالعة في عودة سعيد بن جبير — يقول :

الخبز تجيء به الارض
والارض يجيء بها السيف
والسيف يجيء به وجه « سعيد بن جبير » .

وسعيد بن جبير ثائر معروف نهض من اجل الفقراء قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بعد فشل ثورة ابن الاشعث وقبره موجود على مقربة مدينة الحي في محافظة واسط بالعراق .

٣ — وللمدن صحوة اخرى

شعر زهور دكسن — ٨٠ صفحة — وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

صوت نسوي يتربع على خميلة حريرية ويهيم في اجواء ربيعية معشوشبة كفراشة تمضي وتعود على انوار الشمس وترسم آمالا على مطر المواسم التي تملأ الانهار .. تتكون المجموعة من عشر قصائد لنستمع اليها وهي تقول :

كلما مـر رجع الصدى
واستراحت اكف على صفحة النهر
من زورق مستكين
حقلنا .. والعبير الجنوبي ينثال
من معول العائدين

ان قصائد الشاعرة موزعة على الصفحات شان قصائد نافذة للبراق .

الكوت — العراق — كاظم محمد حسين